جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بإيتاي البارود
المجلة العلمية

أولاد الداية ودورهم السياسي والإداري والديني في حلب (٥٤١- ٥٩٢هـ/ ١١٤٦- ١١٩٥م)

إعداد

د/ هنية بهنوس نصر عبد ربه

أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية المساعد

بقسم العلوم الاجتماعية -كلية التربية - جامعة دمنهور

(العدد السادس والثلاثون)

(الإصدار الثالث .. أغسطس)

(١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣م)

علمية- محكمة- ربع سنوية

الترقيم الدولي: ISSN 2535-177X

أولاد الداية ودورهم السياسي والإداري والديني في حلب من (٥٤١- ٥٩٢هـ/ ١١٤٦- ١١٩٥م)

هنية بهنوس نصر عبد ربه

قسم العلوم الاجتماعية، كلية التربية، جامعة دمنهور، مصر.

البريد الالكتروني: hanyyanasr@gmail.com

الملخص:

جاء موضوع الدراسة متناولًا أولاد الداية ودورهم السياسي والإداري والديني في حلب (٥٤١- ٥٩٢هـ/ ١١٤٦- ١١٩٥م)، ويقصد بهم أولاد داية السلطان نور الدين محمود(٥٤١-٥٦٩هـ/١١٤٦- ١١٧٣م)، وهم خمسة إخوة، أكبرهم مجد الدين أبو بكر رضيع نور الدين محمود، وله أربعة إخوة أخرون، وهم شمس الدين علي ، وبدر الدين حسن ، وسابق الدين عثمان ، ولهم أخ أخر يسمى بهاء الدين عمر؛ لكنه لم يكن له شأن يذكر مثل إخوته، وقد برز نجمهم بالتزامن مع ارتقاء نور الدين محمود عرش الدولة النورية (٥٤١-٥٧٩هـ/١١٤٦-١١٨٣م)، حيث تبوأوا عديد من المناصب العليا والمهام القيادية في حلب، وكان آخر من بقي منهم سابق الدين عثمان الذي توفي سنة ٥٩٢هـ/ ١١٩٥م، وقد تناولت محاور الدراسة الحديث عن التعريف بأولاد الداية وبداية ظهورهم على مسرح الأحداث السياسية في حلب، ودورهم السياسي واسهاماتهم الإدراية والدينية في عهد نور الدين محمود، ثم تناولت الوضع السياسي لهم إبان وفاة نور الدين محمود سنة ٥٦٩هـ/١١٧٣م، والصراعات التي وقعت بينهم وبين أقطاب السلطة في حلب ودمشق، وتناولت أيضًا نكبة أولاد الداية سنة٥٧٠هـ/١١٧٤م ثم عودهم للمشهد السياسي سنة ٥٧٢هـ/١١٧٦م بشفاعة صلاح الدين الأيوبي (٥٦٧-٥٨٩هـ/ ١١٧١-١١٩٣م) ، كما تناولت مكانة أولاد الداية في حلب من خلال أقوال الشعراء، وقد جاءت الدراسة مؤكدة على أن أولاد الداية رغم ما كان يربطهم بنور الدين محمود من صلات قرابة إلا أن ذلك

لم يكن المقياس لتوليهم المناصب والمهام، وإنما امتلكوا المقومات والكفاءات السياسية والمهارات الإدارية والقدرات العسكرية التي أهلتهم لتولي المناصب العليا، وقيادة الجيوش، وإدارة الأزمات وإيجاد الحلول.

الكلمات المفتاحية: أولاد الداية، الدولة النورية، نور الدين محمود، مجد الدين بن الداية، صلاح الدين الأيوبي، الملك الصالح إسماعيل، حلب.

Awlad al-Daya and their political, administrative and religious role in Aleppo from (541-592 AH / 1146-1195 AD)

Haniyeh Bahnous Nasr Abed Rabbo
Department of Social Sciences, Faculty of Education, Damanhour University, Egypt.
Email: hanyyanasr@gmail.com

Abstract:
The subject of the study dealt with Sons of Daya and their political role and their administrative and religious contributions in Aleppo during the period from (541 AH / 1146 AD) to (592 AH / 1195 AD), and they mean Sons of the Daya Sultan Nur al-Din Mahmud (541-569 AH / 1146-1173 AD), and they are five brothers, the eldest of whom is Majd al-Din Abu Bakr, the infant of Nur al-Din Mahmoud, and his Four other brothers, namely Shams al-Din Ali, Badr al-Din Hassan, and Sabiq al-Din Uthman, and they have another brother called Bahaa al-Din Omar, but he had little importance like his brothers, and their star emerged in conjunction with the ascension of Nur al-Din Mahmoud to the throne of the Nuri state (541-579 AH / 1146-1183 AD), where they held many senior positions and leadership tasks in Aleppo, and the last of them was the former al-Din Uthman, who died in 592 AH / 1195 AD. The study talked about introducing Sons of Daya and the beginning of their appearance on the scene of political events in Aleppo, and their political role and their contributions to knowledge and religion during the era of Nur al-Din Mahmoud, then dealt with the political situation of them during the death of Nur al-Din Mahmoud in 569 AH / 1173 AD, and the conflicts that occurred between them and the poles of power in Aleppo and Damascus, and also dealt with the catastrophe of Sons of Daya in 570 AH / 1174 AD and then their return to the

political scene in 572 AH / 1176 AD through the intercession of Salah al-Din al-Ayyubi (567-589 AH / 1171-1193 AD).

Keywords: Awlad al-Dayah, The Nuria state, Nur al-Din Mahmoud, Majd al-Din ibn al-Dayah, Salah al-Din al-Ayyubi, al-Malik al-Saleh Ismail, Halab.

مقدمة

شهد التاريخ الإسلامي عبر الحقب الزمنية المختلفة أن المرأة كان لها السبق والريادة في أحيان كثيرة في شتى مجالات الحياة سواء السياسية أو الحضارية، فكان لها دورها الفاعل بجانب الرجل وحضورها الذي لا يمكن تجاهله ونكرانه، كما كان لها إسهاماتها في الأعمال والمهن في الدولة الإسلامية من أجل تحسين ظروفها المعيشية، والنهوض بأعباء الحياة، ومن تلك المهن مهنة الداية أو المرضعة، التي كانت تقوم بإرضاع الطفل وتربيته منذ ولادته، حيث تقوم مقام الأم في التربية والرعاية.

وتعد مهنة الداية أو المرضعة من المهن القديمة التي تعود أصولها إلى العصور التاريخية القديمة، فكانت من الأعمال التي مارستها المرأة آنذاك ولا سيما في مصر القديمة، ولعل في قصة سيدنا موسى عليه السلام ما يؤكد ذلك، فيقول الله تعالى: **(فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا)**[١]، وقد جُمِعت له المراضع فلم يقبل ثديًا، وجعل النساء يطلبن ذلك لينزلن عند فرعون في الرضاع، فأبى موسى أن يأخذ، فذلك قول الله: **(وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ** مِنْ **قَبْلُ)** [٢]، فقالت أخته: **(هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ)** [٣] أي: من يرضعه ويضمه إليه؟ فقالت آسية: نعم، فأرسلت إلى أمه فجاءت فأعطته ثديها فقبله وشرب ونام [٤]. وهذا يعني أن مهنة المرضعة

---

(١) سورة القصص، الآية (٨)

(٢) سورة القصص، من الآية (١٢)

(٣) سورة القصص، من الآية (١٢)

(٤) لطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي (ت: ٣١٠هـ/ ٩٢٢م) ، **تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك**، ط٢ (بيروت: دار التراث، ١٩٧٦م) ، ج١، ص ٣٨٩؛ ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت: ٥٩٧هـ/ =

كانت من المهن المتعارف عليها في مصر القديمة والتي كانت النساء تتسابق فيها ولا سيما إذا كان الرضيع من ذوي الجاه والسلطان؛ لأن ذلك سيعود عليهم بالمال الوفير.

كما عرف العرب في الجاهلية والإسلام مهنة المرضعة أو الداية، وكان من عادة أشراف مكة أن يرسلوا أطفالهم إذا ما بلغوا ثمانية أيام إلى مرضعات في مكان يتوفر فيه الجو النقي والهواء العليل، واتباعًا لهذه العادة فعندما وُلِد النبي صلى الله عليه وسلم خرج جده عبد المطلب يلتمس له المراضع(١)، وكانت أول من أرضعته هي ثُوَيبة مولاة عمه أبي لهب، بلبن ابن لها يقال له مسروح، وكانت قد أرضعت قبله عمه حمزة بن عبد المطلب، وأرضعت بعده أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومي، فصارا إخوته من الرضاعة من أمه ثويبة(٢)، وبعد أيام من

=

١٢٠٠م). **المنتظم في تاريخ الأمم والملوك**، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٢ م)، ج١، ص ٣٣٣- ٣٣٤؛ سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قِزأوغلي بن عبد الله، (ت: ٦٥٤ هـ/ ١٢٥٦ م): **مرآة الزمان في تواريخ الأعيان**، حقق هذا الجزء وعلق عليه: محمد بركات وكامل الخراط وعمار ريحاوي (دمشق: دار الرسالة العالمية، ٢٠١٣ م)، ج٢، ص ٣٣.

(١) ابن هشام، أبو محمد جمال الدين عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، (ت: ٢١٣هـ/٨٢٨م)، **السيرة النبوية**، المحقق: طه عبد الرؤوف سعد (د.م: شركة الطباعة الفنية المتحدة، د.ت)، ج١، ص ١٤٨؛ **السهيلي**، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد (ت: ٥٨١هـ/ ١١٨٥م)، **روض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام**، المحقق: عمر عبد السلام السلامي (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م)، ج٢، ص ٩٤.

(٢) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج١، ص ١٥٠؛ أبو الفداء، الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد ابن عمر بن شاهنشاه بن أيوب (ت: ٧٣٢هـ/١٣٣١م) ، **المختصر في أخبار البشر** (مصر: المطبعة الحسينية المصرية، =

ولادته صلى الله عليه وسلم قَدِمت إلى مكة السيدة حليمة ابنة أبى ذؤيب السعدية التي خرجت من بلدها معها زوجها وابن لها ترضعه في نسوة من بني سعد بن بكر، تلتمس الرضعاء من أطفال سادات مكة، وكان المرضعات يقدمن إلى مكة من البادية لإرضاع الأطفال، فاحتضنت النبي وأرضعته مع ابنها عبد الله بن الحارث وظل معها في بادية بني سعد حتى أتم الرضاعة وأعادته إلى أمه، واسم أبيه الذي أرضعه – صلى الله عليه وسلم – الحارث بن عبد العزى سعد بن بكر بن هوازن، وإخوة رسول الله من الرضاعة من مرضعته حليمة السعدية هم: عبد الله بن الحارث وأنيسة بنت الحارث وجذامة بنت الحارث ولقبها الشيماء، ويزعمون أن الشيماء كانت تحضنه مع أمها، إذ كان عندهم، وأن الشيماء سبيت يوم حنين سنة ٨هـ/ ٦٢٩م، فقالت: "**اعلموا أني أخت نبيكم من الرضاعة. فلم يصدقوها حتى أتوا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أتي بها عرفها، فأعتقها**"(١). كما كان أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب– ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم– أخاً لرسول الله– صلّى الله عليه وسلم– من الرضاعة، أرضعته حليمة بلبنها أيامًا، وكان الرسول يقول فيه "**أرجو أن يكون خلفًا من حمزة**"، وقال فيه أيضًا: "**أبو سفيان سيد فتيان أهل الجنة**"(٢).

=

د. ت) ، ج١، ص ١١٣؛ سبط ابن الجوزي، **مرآة الزمان** ، تحقيق وتعليق: محمد بركات عمار ريحاوي، ج٣، ص ٤٦.

(١) الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، ج٢، ص ١٥٧؛ المقدسي، المطهر بن طاهر (ت: نحو ٣٥٥هـ/ ٩٦٥م)، **البدء والتاريخ** (مصر – بورسعيد: مكتبة الثقافة الدينية، د.ت)، ج٥، ص ٨؛ ابن الجوزي، **المنتظم**، ج٢، ص ٢٥٩.

(٢) ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت: ٢٧٦هـ/٨٨٩م)، **المعارف**، تحقيق: ثروت عكاشة، ط٢ (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢م)، ج١، ص ١٢٦.

وكان من عادة العرب ألا تأخذ المرضع أجرًا على الرضاعة، وإن كن يقبلن من آل الطفل الهدايا والرعاية. فتسد بعض حاجاتهم، ويرين من العار أن يكون لهن أجر منتظم، وسرى بينهم المثل السائر «**تموت الحرة، ولا تأكل من ثدييها**» [١]، ومنهم من كن يقبلن الأجرة، إذا ألحت بهن الحاجة [٢]. ولقد كان النبي محمد صلى الله عليه وسلم يتيمًا لم يترك أبوه شيئًا يعد ثروة، فكان يتيمًا فقيرًا. وقد حضرت المراضع ترجو أن يعهد إليهن بمن يرضعنه راجيات من هذه الرضاعة الهدايا أو رضخًا من المال، لا أجرة يؤجرن بها أثداءهن، فإذا كن يرجون، فإنهن لا يرضعن إلا أولاد ذوي اليسار، ولذلك أعرضن عن اليتيم الفقير، وبذلك خرج كل المرضعات بطفل من ذوي اليسار، إلا حليمة بنت أبى ذؤيب السعدية، وكان زوجها معها، وكانت المرضعات عشرا كلهن عاد بالأولاد إلا حليمة، فلما رأتهن جميعًا أخذن أطفالًا، ولم يبق إلا اليتيم الطاهر محمد بن عبد الله، أخذته راجية الخير، وإن لم ترج العطاء، وما أفاضه الله تعالى عليها من خير بسبب بركة اليتيم الكريم [٣]. ويحتمل أن تكون حليمة وقومها طلبن الرضعاء للأزمة التي أصابتهم والسنة الشهباء التي أقحمتهم اضطرارًا [٤].

---

(١) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج١، ص ١٥١؛ السهيلي، **الروض الأنف**، ج٢، ص ١٠٥؛ الزَّبِيدِيّ، أبو بكر بن علي بن محمد الحدادي العبادي اليمني الحنفي (ت: ٨٠٠هـ/١٢٩٧م) ، **الجوهرة النيرة** (د.م: المطبعة الخيرية، ١٩٠٤م) ج١، ص ٢٧١.

(٢) السهيلي، **الروض الأنف**، ج٢، ص ١٠٥.

(٣) ابن هشام، **السيرة النبوية**، ج ١، ص ١٤٨؛ الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، ج٢، ص ١٥٨.

(٤) السهيلي، **الروض الأنف**، ج٢، ص ١٠٥.

واستمر الاعتماد على المراضع بعد ذلك لإرضاع الأطفال على عادة العرب، فكانت قصور الخلفاء والأمراء لا تخلو من وجود الداية أو المرضعة للاهتمام بأبنائهم ورعايتهم، حيث أصبحت المرضعة تقيم مع من تسترضع، وكانت تعد بمثابة الأم للخليفة أو الأمير أو السلطان المستقبلي الذي تقوم بإرضاعه ورعايته، ويصبح أولادها إخوة له من الرضاعة، ومن هنا اكتسب هؤلاء المكانة والزعامة، وتبوءوا المناصب العليا في الدولة بفضل والدتهم "الداية"، فتعد الرضاعة بمنزلة الأخوة بين المتراضعين، ويفتخر ويتعزز الواحد منهم بالآخر، خاصة إذا كان من السادات والأشراف، والعرب تقول: "هذا رضيعك"، أي أخوك من الرضاع، وتقول: "استرضع في بني فلان". ويصير كأنه واحد من القوم الذين استرضع فيهم. وتكون المراضع بمنزلة الأم للرضيع [١]. وبذلك فالرضيع يكون كأحد أولاد المرضعة، فتكون أمه، ويكون زوجها أباه، وأولادهما إخوته وأخواته وآباؤه منهما– وإن عَلوْا– أجداده، وأعمامهما: وعماتهما، وأخوالهما، وخالاتهما وأعمامه، وأخواله، وإخوانهما وأخواتهما، أعمامه وعماته، وأخواله، وخالاته [٢].

وقد ذكر المؤرخون عددًا من الشخصيات البارزة والرائدة الذين زاولت أمهاتهم مهنة الداية في قصور الخلفاء والأمراء والسلاطين، فنُسِبوا إليها، وذاع صيتهم واكتسبوا الشهرة الواسعة، وبلغوا المعالي بهذا اللقب، ولعل من أبرز تلك الشخصيات هم أولاد داية السلطان نور الدين محمود وعددهم خمسة إخوة أكبرهم

(١) جواد علي، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، ط٤ (د.م: دار الساقي، ٢٠٠١)، ج٨، ص ٢٣٤-٢٣٥.

(٢) أبو عبد الرحمن عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح بن حمد بن محمد بن حمد البسام، **تيسير العلام شرح عمدة الأحكام**، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه وصنع فهارسه: محمد صبحي بن حسن حلاق، ط١٠(الأمارات– مكتبة الصحابة، القاهرة– مكتبة التابعين، ٢٠٠٦م) ، ص ٦٢٦.

مجد الدين أبو بكر بن الداية رضيع نور الدين، حيث تتناول الدراسة دورهم السياسي وإسهاماتهم الإدارية والدينية في حلب[١] خلال الفترة من

(١) **حلب:** مدينة عظيمة واسعة كثيرة الخيرات طيبة الهواء صحيحة الأديم والماء، "وهي قصبة جند قنسرين في أيامنا هذه"، حلب بلد مسور بحجر أبيض وفيه ستة أبواب وفي جانب السور قلعة في أعلاها مسجد وكنيستان وفي إحداهما كان المذبح الذي قرب عليه إبراهيم، عليه السلام، وفي أسفل القلعة مغارة كان يخبئ بها غنمه، وكان إذا حلبها أضاف الناس بلبنها، فكانوا يقولون حلب أم لا؟ ويسأل بعضهم بعضا عن ذلك، فسميت لذلك حلبا، وفي البلد جامع وست بيع وبيمارستان صغير، وكان الفقهاء فيها يفتون على مذهب الإمامية، وشرب أهل البلد من صهاريج فيه مملوءة بماء المطر، وعلى بابه نهر يعرف بقويق يمد في الشتاء وينضب في الصيف. فتحها أبو عبيدة بن الجراح غي خلافة عمر بن الخطاب سنة ١٦هـ/. ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله الرومي (ت: ٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، **معجم البلدان**، ط٢(بيروت: دار صادر، ١٩٩٥ م)، ج٢، ص ٢٨٢؛ ابن الشحنة الصغير، أبو الفضل محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمود بن الشهاب غازي بن أيوب بن حسام الدين محمود (ت: ٨٩٠هـ/١٤٨٥م)، **الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب**، تقديم: عبد الله محمد الدرويش (سورية– دار الكتاب العربي، دمشق – دار التراث، ١٩٨٤م)، ص ٣١.

- أما أعمال حلب فكانت تنتهي من جهة الجنوب إلى قرب حدود حمص وكانت حماة من أعمالها فانفردت حماة عنها، وصار بين حدود حلب وحماة بعض أميال، وحدها شرقا نهر الفرات وشمالا دروب الروم وغربا البحر الأبيض المتوسط. كامل بن حسين بن محمد بن مصطفى البالي الحلبي الغزي، **نهر الذهب في تاريخ حلب**، ط٢، (حلب: دار القلم،١٩٩٨م) ج١، ص ٣٣.
- ومن أعمال حلب: بالس، قلعة نجم، خناصرة، رصافة هشام، حيار بني القعقاع، قنسرين، سرمين، معرة مصرين، درب ساك، كيسوم، حصنا الشغر وبكاس، حارم، الزوي، المرزبان، بهنسا، (الاعلاق الخطيرة)، تلّ باشر، وعين تاب، ودلوك، وأعزاز، وتل خالد، وقورس، والراوندان، وبرج الرصاص، وحصن البارة، وكفر سود، وكفر لاثا، ومرعش، ونهر الجوز. ابن الأثير، أبو الحسن عز الدين علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري (ت: ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م)، **الكامل في التاريخ**. تحقيق: عمر عبد السلام تدمري (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٩٧م.)، ج٩، ص ١٨٠– ١٨١؛ ابن العديم، كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله =

(٥٤١هـ/١١٤٦م) إلى (٥٩٢هـ/١١٩٥م) منذ ظهورهم على مسرح الأحداث السياسية بالتزامن مع ارتقاء نور الدين محمود عرش الدولة النورية (٥٤١-٥٧٩هـ/١١٤٦-١١٨٣م).

وقد تبوأ أولاد الداية المناصب المرموقة، وكانت لهم الزعامة السياسية والإدارية في حلب، حيث فوض إليهم نور الدين محمود تدبير الأمور في حلب ومنحهم الصلاحيات المطلقة والامتيازات الواسعة في سبيل ذلك، وقد أسكنهم معه بقلعة حلب، ولم يكن يصدر أمرًا إلا عن رأيهم، وذلك منذ بزوغ نجمهم حتى الأفول بإقصائهم عن المشهد السياسي سنة ٥٧٠هـ/١١٧٤م إثر مؤامرة حاك خيوطها كبار الأمراء في دمشق وحلب بعد وفاة نور الدين محمود وتولي الحكم بعده ابنه الملك الصالح إسماعيل، ثم عودهم إلى ممارسة دورهم السياسي مرة سنة ٥٧٢هـ/١١٧٦م أخرى ولكن هذه المرة كان في خدمة الدولة الأيوبية بعد شفاعة صلاح الدين الأيوبي فيهم والذي سعى في إطلاق سراحهم واستصدار قرار العفو السياسي بحقهم من الملك الصالح إسماعيل فدخلوا في خدمة صلاح الدين وصاروا من أتباعه وكبار أمرائه المتقدمين، وكان آخر من بقي منهم سابق الدين عثمان الذي توفي سنة ٥٩٢هـ/ ١١٩٥م، وقد عُرِف هؤلاء في التاريخ الإسلامي بـ **(أولاد الداية)**.

وتهدف الدراسة إلى إبراز إسهامات أولاد الداية في الحياة السياسية في حلب ومدى تأثيرهم فيها وتأثرهم بها، وكيفية إدارتهم للأزمات، والمناصب والمهام القيادية والإدارية التي مارسوها ، وإسهاماتهم في الحياة والدينية وكيفية ترويجهم

=

بن أبي جرادة العقيلي (ت: ٦٦٠هـ/١٢٦٢م)، **زبدة الحلب في تاريخ حلب**، وضع حواشيه: خليل المنصور (بيروت: جار الكتب العلمية، ١٩٩٦م) ص ٣٣٥؛ عز الدين بن شداد، محمد بن علي بن إبراهيم (ت: ٦٨٤هـ/١٢٨٥م)، **الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة**، المحقق: يحي زكريا عبارة (دمشق- سوريا: وزارة الثقافة السورية، ١٩٩١م)، ج١، ق٢، ص ٩-١٣.

لنشر المذهب السني، وتقويض المذهب الشيعي الغالب على أهل حلب آنذاك، كما تهدف الدراسة إلى تسليط الضوء على صراعاتهم مع أقطاب السلطة في حلب ودمشق بعد وفاة نور الدين محمود، وأبرز النتائج التي ترتبت على هذا الصراع ، وإلى أي مدى أثر ذلك على مستقبلهم السياسي، بل على الأوضاع في حلب والشام عامة.

وعلى الرغم من الدور الذي قام به أولاد الداية في دولة نور الدين محمود وإسهاماتهم إلا أنه وعلى حسب علم الباحثة وبعد البحث والتنقيب لم تصل إلى دراسة تناولت أولاد الداية من قريب أو من بعيد اللهم إلا بعض الإشارات التي وردت في سياق أحداث تلك الفترة. وقد أوردت الباحثة في قائمة المراجع عدد من الدراسات السابقة عن نور الدين محمود وعن إنجازاته وإسهاماته والتي ورد فيها بعض الإشارات عن أولاد الداية حسب موضوع كل دراسة، وكانت أبرز تلك الدراسات التي أفادت الباحثة هي **(اسهامات أسرة بني الخشاب في الحياة السياسية في مدينة حلب ما بين القرن الرابع الهجري-العاشر الميلادي القرن السابع الهجري-الثالث عشر الميلادي)**[١] حيث أفادت الباحثة حول الصراع بين أولاد الداية والقاضي ابن الخشاب.

وقد ارتكزت الدراسة على منهج البحث التاريخي الذي يقوم على النقد والتحليل للروايات التاريخية بكل دقة وموضوعية للوصول إلى الحقيقة المجردة، وقد اقتضت طبيعة الموضوع تقسيمة إلى عدة محاور هي: المحور الأول: التعريف بالداية لغة واصطلاحًا، أما المحور الثاني: التعريف بأولاد الداية وبداية

(١) مهند عبد الرضا حمدان عبد الله الكنزاوي، عبد الحسن حنون جبرة الله، سلام على مزعل الجابري، "**اسهامات أسرة بني الخشاب في الحياة السياسية في مدينة حلب ما بين القرن الرابع الهجري–العاشر الميلادي القرن السابع الهجري–الثالث عشر الميلادي**" مجلة الآداب، جامعة بغداد– كلية الآداب، المجلد ٢٠١١، العدد٩٨ (٢٠١١م)، ص ١٣٠– ١٦٥.

ظهورهم على مسرح الأحداث السياسية في حلب، والمحور الثالث: أولاد الداية في عهد نور الدين محمود ، والذي تناول: دورهم السياسي والإداري، وأيضًا دورهم الديني ، أما المحور الرابع فجاء بعنوان: الوضع السياسي لأولاد الداية إبان وفاة نور الدين محمود سنة ٥٦٩هـ/١١٧٣م، وقد تناول: الصراع بين أولاد الداية والقاضي ابن الخشاب على السلطة في حلب، والصراع بين أولاد الداية وأمراء دمشق، أما المحور الخامس فعنوانه: نكبة أولاد الداية سنة٥٧٠هـ/١١٧٤م ثم عودهم للمشهد السياسي سنة ٥٧٢هـ/١١٧٦م، وقد تناول : تدبير الأمراء مع الملك الصالح إسماعيل للقبض على أولاد الداية ونكبهم، وتداعيات قبض أولاد الداية على الأوضاع السياسية في بلاد الشام، وشفاعة صلاح الدين في أولاد الداية وعودهم إلى المشهد السياسي سنة ٥٧٢هـ/١١٧٦م، أما المحور السادس والأخير فعنوانه: مكانة أولاد الداية في حلب من خلال أقوال الشعراء، ثم اختتمت الدراسة بخاتمة وقائمة المصادر والمراجع.

أولًا- التعريف بالداية لغة واصطلاحًا:

ورد في (معجم اللغة العربية المعاصرة) أن لفظة داية (مفرد): وهي تعني المُولِّدة، والقابِلة، أي من تحترف توليد النِّساء، فيقال: "**حان موعدُ الولادة فأحضروا الدَّايةَ**"، وهي أيضًا المُرضِعة لولد غيرها(١)، والداية هي الحاضنة، والموكلة بالصبي تحفظه وتربيه(٢)، وحاضنة (ج) حواضن، والحاضنة: هي التي تقوم على تربية الصغير، والتي تقوم مقام الأم في تربية الولد بعد وفاتها،

(١) أحمد مختار عبد الحميد عمر. (القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠٨م)، مادة (د ا ي ة)، ج١: ٧١٨، ومادة (د وى)، نفس الجزء، ص ٧٩٢.

(٢) الزبيدي، محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق، (ت:١٢٠٥هـ/١٧٩٠م). **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق: عبد الفتاح الحلو، راجعة أحمد مختار عمر وخالد عبد الكريم جمعة (الكويت: شركة مطبعة مقهوي، ١٩٩٧م)، باب حضن، ج٣٤: ٤٤٣.

والحضانة: الولاية على الطفل لتربيته، وتدبير شئونه[١]. والداية هي المرضع الأجنبية والحاضنة والقابلة[٢]. أما اصطلاحًا فهي تعني تربية من لا يستقل بأموره بما يصلحه، ويقيه عما يضره، ولو كان كبيرًا مجنونًا، وتربية صبي بما يصلحه، وحفظ الولد في نفسه، ومؤنة طعامه، ولباسه ومضجعه، وتنظيف جسده[٣].

وقد قيل إن لفظ الدّاية عربي اللسان من (د و ي)، وقيل: فارسي[٤]. وإذا كانت بعض كتب معاجم اللغة قد ذكرت أن الداية هي القابلة، والقابلة هي التي تتلقى الولد عند الولادة، وهي مشتقة من قَبِلَتِ القابلة المرأة تَقْبَلُها قِبالَة، إذا قَبِلَتِ الولد، أي تلقَّته عند الولادة[٥] . فإن هناك فرق شاسع بين كلا اللفظتين وليست الداية هي القابلة بإثبات اللغويين لأن داية لفظة تطلق على الحاضنة أو المرضعة كما سبق وأكدنا ذلك، أما القابلة فهي من تتلقي الولد عند الولادة، وقد أطلقت على القابلة مجازًا، ولأبي حيان قول على هذا الاختلاف، ففي وصف

(١) **المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية** (القاهرة: دار الدعوة، د.ت)، باب الحاء، ص ١٨٢.

(٢) **المعجم الوسيط، باب** الدال، ص ٣٠٦.

(٣) سعدي أبو حبيب، **القاموس الفقهي لغة واصطلاحا**، ط٢ (دمشق– سورية: دار الفكر، ١٩٨٨ م)، حرف الحاء، ص٩٣.

(٤) أحمد مختار عمر بمساعدة فريق عمل، **معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي** (القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠٨ م)، مادة داية، ج١، ص ٣٦٨.

(٥) الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن الفارابي (ت: ٣٩٣هـ/ ١٠٠٢م)، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط٤(بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٧م)، ج٥، ص١٧٩٦.

رجل قال أحدهم: "**فيه كيد مخنث .. وحسد نائحة وشره قوادة وملق داية وذل قابلة**"(١).

وقد ورد في التعليقات والشروح والاضافات الملحقة بكتاب (الإنباء في تاريخ الخلفاء) أنه الداية كلمة تركية تعنى المربية أو المرضعة أو كلاهما، وكانت من الكلمات الواردة في كتابات ذلك العصر(٢).

ثانيًا: <u>التعريف بأولاد الداية وبداية ظهورهم على مسرح الأحداث السياسية في حلب:</u>

١- **أولاد الداية، أصلهم ونسبهم:** ما يحسب للسلطان نور الدين محمود (٥٤١- ٥٦٩هـ/١١٤٦-١١٧٣م) هو حسن اختياره للرجال من أصحاب الكفاءات والقدرات الإدارية لتولي المناصب السياسية والإدارية العليا في دولته، فقد أدرك بحسن بصيرته وتدبيره أن أمور دولته لا تستقيم إلا بالاعتماد على ذوي الخبرة والحنكة السياسية والمقدرة على مواجهة الأزمات واعتماد الحلول، وفي ضوء ذلك فقد ضخ في أجهزة الدولة نماذج متعددة لهؤلاء الرجال يتباينون في انتماءاتهم العرقية والاجتماعية والجغرافية؛ ولكنهم يجتمعون على نفس المبادئ والمؤهلات التي لا تستقيم بدونها الإدارة الحكيمة، فكان هؤلاء بمثابة أركان دولته وعمادها، باستقامتهم استقامت الدولة النورية وعلا نجمها، ومن أبرز هؤلاء الرجال" **أولاد الداية** " الذين حظوا بمنزلة رفيعة في الدولة النورية، يتزعمهم أخوهم الأكبر مجد الدين أبو بكر ابن الداية أخو نور الدين محمود من الرضاعة، فكانت أمه وتدعى **فاطمة بنت سودكين** مرضعة وداية السلطان نور الدين محمود بن زنكي،

---

(١) أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد بن العباس (ت: نحو ٤٠٠هـ/ ١٠٠٩م)، **البصائر والذخائر**، المحقق: وداد القاضي (بيروت: دار صادر، ١٩٨٨ م)، ج٥، ص ٤١.

(٢) ابن العمراني، محمد بن علي بن محمد **(ت: ٥٨٠هـ/١١٨٤م)**، **الإنباء في تاريخ الخلفاء**، المحقق: قاسم السامرائي (القاهرة: دار الآفاق العربية، ٢٠٠١ م)، ص ٣١٨.

حيث أرضعته مع ابنها مجد الدين فصار أخاه من الرضاعة[١]، "**فلذلك عرف بابن الدايـة**"[٢]، وبالتالي عُد أولادها بمنزلة إخوة لنور الدين محمود أيضًا، حيث عُرِفوا بأولاد الداية ،"**وتمكن مجد الدين من نور الدين واستنابه بحلب وإخوته من أمه يقال لهم أولاد الدايـة**"[٣]، وبذلك فقد أخذوا شهرتهم وحصلوا على مكانتهم من مهنة والدتهم، حتى أنهم نُسبوا إليها وعُرِفوا في التاريخ الإسلامي بأولاد الداية، وهم خمسة إخوة، أكبرهم مجد الدين أبو بكر رضيع نور الدين محمود، وله أربعة إخوة أخرون، وهم **شمس الدين علي ، وبدر الدين حسن ، وسابق الدين عثمان** ، ولهم أخ أخر يسمى **بهاء الدين عمر**؛ لكنه لم يكن له شأن يذكر مثل إخوته، وقد توفي بهاء الدين سنة ٥٦٤هـ/١١٦٨م[٤].

وقد ورد في ترجمة مجد الدين في (بغية الطلب) أن اسمه هو "**محمد بن محمد بن نشتكين**"[٥] وقيل في مواضع أخرى نوشتكين[٦] ، وجاء في (الوافي

(١) سبط ابن الجوزي، **مرآة الزمان**، تحقيق وتعليق: إبراهيم الزيبق، ج٢١، ص ١٥٧؛ ابن العديم، كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي (ت: ٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م)، **بغية الطلب في تاريخ حلب**، تحقيق: سهيل زكار (بيروت: دار الفكر، د.ت)، ج١٠، ص ٤٣٦٨؛ الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (ت: ٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م)، **الوافي بالوفيات**، **المحقق**: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى (بيروت: دار إحياء التراث، ٢٠٠٠م) ج١٠، ص ١٤٥-١٤٦.

(٢) ابن العديم، **بغية الطلب**، ج١٠، ص ٤٣٦٨.

(٣) سبط ابن الجوزي، **مرآة الزمان**، ج٢١، ص ١٥٧؛ الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج١٠، ص ١٤٥-١٤٦.

(٤) أبو شامة، أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي (ت: ٦٦٥ هـ/١٢٦٦م)، **الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية**، تحقيق: إبراهيم الزيبق (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٧)، ج٢، ص ٤٥.

(٥) ابن العديم، **بغية الطلب**، ج١٠، ص ٤٣٦٨.

(٦) ابن العديم، **بغية الطلب**، ج٦، ص ٢٧٤٥.

بالوفيات) أن اسمه هو "**أبو بكر مسعود بن محمد بن علي بن نوشتكين الهمذاني النوري**" وقيل اسمه محمد[١]، ولا شك أن الهمذاني نسبة إلى موطنه الأصلي وهو همذان في عراق العجم وهذا يعني أنهم كانوا من أصول فارسية، ثم بعد ذلك ورد ذكر اسمه مقرونًا بنسبته إلى مهنة والدته **(مجد الدين ابن الدايــة)** فــي جميــع المصــادر التاريخيــة وكتــب التــراجم التــي تتنــاول ســيرته أو الأحداث التي شهدها في الدولة النورية، بينما في نسب إخوته ، فقد نسبوا لأمهم مباشرة وليس لأبيهم، حيث لم أجد في كتب التاريخ والتراجم شيء حول نسبهم سوى ذكر أنهم **أولاد داية نور الدين الشهيد،** فكان يذكر **شمس الدين ابن الداية** أو **بدر الدين ابن الداية** أو **سابق الدين عثمان ابن الداية** و **بهاء الدين عمر ابن الداية،** وكأن النسبة إلى الداية قد تحول إلى اسم علم لا يحتاج إلى تعريف بصاحبه، فيكفى أن يُذكر أنه ابن الداية، وهي معلوم فضلها على الدولة النورية، وقد بلغت شهرتهم بهذا الاسم الآفاق، وهذا يؤكد على عظم الدور والمكانة التي تتمتع بها الداية أو المرضعة في بلاط الخلفاء والسلاطين والأمراء لا سيما لو كانت داية ومرضعة لولي العهد.

٢- بداية ظهور أولاد الداية على مسرح الأحداث السياسية:

بعد مقتل الأتابك[٢] عماد الدين زنكي (٥٢١-٥٤١هـ/١١٢٧- ١١٤٦م) مؤسس الدولة الزنكية سنة ٥٤١هـ/١١٤٦م أثناء حصاره قلعة جعبر[١] وقف

(١) الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج١٠، ص ١٤٥-١٤٦.

(٢) **الأتابك** أو الأطابك معناه الوالد أو الأمير باللغة التركية، والمراد به أبو الأمراء وهو أكبر الأمراء المتقدمين بعد النائب، وتتألف الكلمة من شقين أتا: بمعنى الأب أو الشيخ المحترم لكبر سنة، بك: بمعنى أمير، وفي الاصطلاح تعني مربي الأمير، ويطلق على أمير أمراء الجيش لقب (أتابك العسكر). محمد أحمد دهمان، **معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي** (دمشق – سورية: دار الفكر، ١٩٩٠م)، ص ١١.

أمراؤه بجانب ابنه نور الدين محمود، وكان لهم دورهم الملموس في تثبيت الدولة الزنكية ونقل الملك لابنه من بعده في بلاد الشام(٢)، فأخذ أولاد الداية نور الدين محمود وخرجوا به إلى حلب ودخلوا قلعتها ونصّبوه حاكمًا عليها خلفًا لوالده، ويؤكد ابن العديم على أن أولاد الداية كان لهم دورهم في حفظ الملك لنور الدين محمود بعد مقتل والده، فيذكر "..... **وافترقت العساكر فأخذ أولاد الداية نور الدين محمود الملك العادل بن عماد الدين زنكي وطلبوا حلب والشام فملكها**"(٣)، كما يذكر أبو شامة مؤكدًا لما ذكره ابن العديم " "**وكان مجد الدين أبو بكر**

=

(١) **جعبر** : بالفتح ثم السكون، وباء موحدة مفتوحة، وراء والجعبر في اللغة: الغليظ القصير ، قلعة جعبر على الفرات بين بالس والرقة قرب صفين، وكانت قديما تسمى دوسر فملكها رجل من بني قشير أعمى يقال له جعبر بن مالك وكان يخيف السبيل ويلتجئ إليها، ولما قصد السلطان جلال الدين ملك شاه بن أرسلان ديار ربيعة ومضر نازلها وأخذها من جعبر ونفى عنها بني قشير وسار إلى حلب وقلعتها لسالم بن مالك بن بدران بن مقلد العقيلي، وكان شرف الدولة مسلم بن قريش بن بدران بن مقلد ابن عمه قد استخلف فيها ثم قتل مسلم وسلم حلب إلى ملك شاه في شهر رمضان سنة ٤٩٩هـ/ ١١٠٥م ودخلها وعوض سالم بن مالك عن حلب قلعة جعبر وسلمها إليه، فأقام بها سنين كثيرة ومات، ووليها ولده إلى أن أخذها نور الدين محمود بن زنكي من شهاب الدين مالك بن علي بن مالك بن سالم. ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج٢، ص ١٤١– ١٤٢

(٢) ابن الأثير، **التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل**، تحقيق: عبد القادر أحمد طليمات (القاهرة: دار الكتب الحديثة، د.ت)، ص ٨٤– ٨٦؛ شكيب راشد ال فتاح، " **صورة نور الدين محمود في كتاب تاريخ الرهاوي المجهول**"، مجلة التربية والعلم، مج١٧، ع ٤ (٢٠٢٠م)، ص ١٦؛

Saunder, J. J**.** ***A History of Medieval Islam***. London: Routledge, 2002, p 162; Nafziger, George F.and Walton, Mark W. **Islam at War.** London: Praeger, 2003, p 43.

(٣) ابن العديم، **بغية الطلب**، ج٨، ص ٣٨٥٥.

أخوهم رضيع نور الدين وقد تربى معه ولزمه وتبعه إلى أن ملك الشام بعد والده ففوض إلى مجد الدين جميع مقاصده من طريفة وتالده وحكمه في الملك ونظمه في السلك فلا يحل ولا يعقد إلا برأيه[١]".

ومنذ اعتلاء نور الدين محمود عرش الدولة الزنكية في حلب يبدأ نجم أولاد الداية في البزوغ، حيث تزامن ظهورهم مع صعود نور الدين محمود إلى كرسي الحكم في حلب والشام خلفًا، إذ لم يكن لهم شأن يذكر قبل ذلك، وبالأحرى لم يُذكر أو يُسَجْل اسمهم في المصادر التاريخية التي تؤرخ لتلك الفترة إلا منذ تلك اللحظة، فكان ذلك إيذانًا بميلاد جماعة من النخبة أو الصفوة التي قادت الدولة النورية في حلب وكان لها إسهاماتها على جميع الأصعدة، فسطروا اسمهم في سجل القادة وكبار الأمراء وشهد التاريخ بفضلهم ودورهم البارز في تدعيم أركان الدولة النورية.

وكان للمكانة التي حظي بها مجد الدين ابن الداية أثرها في إثارة حفيظة وغضب بعض الأمراء الكبار المقربين من نور الدين محمود، وعلى رأسهم الأمير أسد الدين شيركوه[٢]، فيذكر أبو شامة " **مال نور الدين محمود إلى مجد**

---

(١) أبو شامة، **الروضتين**، ج٢، ص ٣٢٧.

(٢) أبو الحارث شيركوه بن شاذي بن مروان الملقب الملك المنصور أسد الدين عم السلطان صلاح الدين الأيوبي، نشأ هو وأخوه أيوب بتكريت لما كان أبوهما شاذي نقيب قلعتها، أصلهم من الكرد الروادية فخذ من الهذبانية، ثم قدم الأخان الشام، وخدما الدولة الزنكية، وتنقلت بهما الأحوال إلى أن صار شيركوه من أكبر أمراء نور الدين، وصار مقدم جيوشه، تولى دمشق مدة لنور الدين محمود. وكان أحد الأبطال المذكورين، والشجعان الموصوفين، ترعب الفرنج من ذكره، ثم جهزه نور الدين في جيش إلى مصر لاختلال أمرها، وطمع الفرنج فيها، فسار إليها غير مرة ، حيث قصدها على ثلاث دفعات الأولى سنة ٥٥٨هـ/ ١١٦٢م وقيل سنة ٥٥٩هـ/ ١١٦٣م، والثانية سنة ٥٦٢هـ/١١٦٦م، والثالثة سنة ٥٦٤هـ/ ١١٦٨م وفيها بعد حاصر الفرنج مصر وطمعوا في ملكها واستعان =

الدين بن الداية وإخوته حتى ولاه جميع أموره وجميع مملكته فشق ذلك على أسد الدين شيركوه"[١] .

وبذلك فإن علاقة أولاد الداية بنور الدين وقربهم منه وتوليهم تدبير أموره بزعامة أخوهم الأكبر مجد الدين جلب على نور الدين غضب واستياء أسد الدين شيركوه الذي شق عليه ذلك، وكان السبب في ذلك أن أسد الدين شيركوه كان يرى أنه صاحب الفضل في توليته وبقائه على عرش السلطنة في حلب والشام بعد مقتل والده، وكان يمن عليه بذلك فيذكر أبو شامة " **...لما اتصل قتل أتابك بأسد الدين شيركوه ركب من ساعته وقصد خيمة نور الدين ..... وأمر أن ينادى في الليل في عساكر الشام بالاجتماع، فاجتمعوا وساروا في خدمة نور**

=

أهلها بأسد الدين فأتاهم معينا لهم فرد الفرنج عنهم وقتل شاور الجذامي واستولى على ديار مصر ، وتولى أسد الدين الوزارة للخليفة الفاطمي العاضد لدين الله (٥٥٥-٥٦٧هـ/ ١١٦٠- ١١٧١م)، وأقام بها شهرين وخمسة أيام، ثم توفي فجأة في نفس السنة ، وتولى مكانه صلاح الدين. ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت: ٥٧١هـ/ ١١٧٥م)، **تاريخ دمشق**، المحقق: عمرو بن غرامة العمروي (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٨م)، ج٢٣، ص ٢٨٤؛ ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر البرمكي الإربلي، (ت: ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق: إحسان عباس (بيروت: دار صادر،١٩٠٠م)، ج٢، ص ٤٧٩؛ الذهبي (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز)، (ت: ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م) ، **سير أعلام النبلاء** ، المحقق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، ط٣ (د.م: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥م)، ج٢٠، ص ٥٨٨؛

Chamberlain, Michael. "***The Crusader Era and the Ayyubid Dynasty***. " In The Cambridge History of Egypt: Islamic History (640- 1517). Edited by Carl F. Petry. Vol.1, Cambridge: Cambridge University Press, 2008, p 214.

(١) أبو شامة، **الروضتين**، ج ١، ص١٧٤.

الدين إلى حلب ودخلوها سابع ربيع الأول ولما دخلوا إلى حلب جاء أسد الدين إلى تحت القلعة ونادى واليها وأصعد نور الدين إليها وقرر أمره ومشى أحواله، فكان نور الدين يرى له ذلك وأسد الدين يمن بأنه كان السبب في توليته" [(١)].

وفي ضوء هذه الرواية يتضح أن نور الدين محمود قد ملك بإشارة أسد الدين شيركوه ونصحه، في حين أن كلًا من ابن الأثير وابن واصل يرجع السبب في ملك نور الدين وتثبيت الدولة الزنكية بعد مقتل عماد الدين زنكي إلى الوزير جمال الدين الأصفهاني[(٢)] والأمير صلاح الدين محمد الياغسياني[(٣)] وهما اثنان من كبار الأمراء في الدولة الزنكية[(٤)]، وهنا وقع الاختلاف بين المؤرخين حول

(١) أبو شامة، **الروضتين**، ج١، ص ١٩٢؛ محمد راغب بن محمود بن هاشم الطباخ الحلبي، **إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء**، المحقق: محمد كمال، (حلب: دار القلم العربي، د.ت)، المجلد٢، ص ٧

(٢) **الوزير جمال الدين محمد بن علي بن أبي منصور الأصفهاني** هو أحد أمراء عماد الدين زنكي، تولى الوزارة في عهدة بعد أن خدم السلطان السلجوقي محمود بن محمد بن ملكشاه، ظل في خدمة الزنكيين حتى وفاته سنة ٥٥٩هـ/ ١١٦٣م. ابن الأثير، **الباهر**، ص ١٢٧– ١٣٠؛ أبو شامة، **الروضتين**، ج١، ص ٤٢٦.

(٣) **صلاح الدين محمد بن ايوب الياغسياني**، صاحب حماة، وهو أحد امراء عماد الدين زنكي تولى منصب أمير حاجب له، وقد سيره إلى حلب فدخل قلعتها وجعله واليًا عليها وذلك ٥٢٣هـ/ ١١٢٨م، وبعد وفاة عماد الدين زنكي في سنة ٥٤٣هـ/١١٤٨م، تسلم منه نور الدين حماة وعوضه عنها بقلعة حمص، وظل متوليًا على حمص حتى وفاته سنة (٥٥٢ هـ / ١١٥٧ م). القلانسي، أبو يعلى حمزة بن أسد بن علي بن محمد التميمي (ت: ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م)، **ذيل تاريخ دمشق**، المحقق: سهيل زكار (دمشق: دار حسان للطباعة والنشر، ١٩٨٣ م)، ص ٥٣١؛ ابن الأثير، **الكامل**، ج٩، ص ١٢.

(٤) ابن الأثير، **الباهر**، ص ٨٤– ٨٦؛ **الكامل**، ج٩، ص ١٤٤؛ ابن واصل، جمال الدين محمَّد بن سالم بن نصر الله بن سالم المازني التميمي الحموي (ت: ٦٩٧هـ/١٢٩٧م)، **مفرج الكروب في أخبار بني أيوب**، تحقيق: جمال الدين الشيال (القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية – المطبعة الأميرية، ١٩٥٧ م)، ج١، ص ١٠٨.

من صاحب الفضل في تثبيت الملك لنور الدين بعد مقتل والده، ولكن يبدو من خلال الامتيازات التي منحها نور الدين لمجد الدين ابن الداية وإخوته وتفويض أمور ملكه له أنه كان له اليد الطولى في تثبيته على الحكم في حلب.

وبذلك فكان للامتيازات والمكانة التي منحها نور الدين لمجد الدين ابن الداية سبب في إثارة غضب وامتعاض أسد الدين شيركوه، الذي نظر إلى مجد الدين باعتباره منافسًا وندًا له نال الحظوة والمكانة التي يرجو أن ينالها من نور الدين عرفانًا منه بالفضل والجميل لما قدمه له شيركوه في سبيل وصوله إلى سدة الحكم في حلب، وقد ظهر هذا الموقف جليًا في التقاعس عن المشاركة في قتال الفرنج بجانب جيش نور الدين في واقعة يغرا(يغرى)[١] التي ظهر فيها انكسار المسلمين وهزيمتهم أمام قوات الفرنج في سنة ٥٤٣هـ/١١٤٨م، وكان الفرنج قد تجمعوا ليقصدوا أعمال حلب ليغيروا عليها، فعلم نور الدين فسار إليهم في عسكره فالتقوا بيغرى واقتتلوا قتالًا شديدًا، وانهزم المسلمون فيها[٢]، وقد أدرك نور الدين تراخي أسد الدين عن القتال مما أثار غضبه ودهشته من هذا الموقف فسأل أسد الدين شيركوه عن ذلك الموقف السلبي المتخاذل فقال له:" **يا خوند**[٣] **إيش ننفع نحن إنما ينفع مجد الدين أبو بكر فهو صاحب الأمر**"[٤]، عندئذ

(١) **يغرا:** هي مدينة في كف جبل الأكراد بينها وبين أنطاكية حوالي ٢٤ كيلو متر على يمين القاصد أنطاكية من حلب وهي شمال بحيرة العمق. سعيد عبد الفتاح عاشور، **الحركة الصليبية**، ط ٢ (القاهرة: مكتبة الأنجلو الأمريكية، ١٩٧١م)، ج٢، ص ٦٣٧.

(٢) **تاريخ الرهاوي المجهول١٢٣٤م**، عربه عن السريانية ووضع حواشيه: الأب ألبير أبونا (بغداد: مطبعة شفيق، ١٩٨٦م)، ج٢، ص١٨٠؛ محمد راغب الطباخ، **إعلام النبلاء**، ج٢، ص ١١.

(٣) **الخوند:** في الفارسية تعني السيد العظيم أو الأمير، واستعملت في العربية لقبًا بمعنى السيد أو السيدة. محمد أحمد دهمان، **معجم الألفاظ التاريخية**، ص ٧٠.

(٤) أبو شامة، **الروضتين**، ج ١، ص ١٩٧.

استدرك نور الدين حقيقة الأمر، وأن موقف أسد الدين شيركوه بسبب حسده على مجد الدين من سيطرته على الأمور، وطيب قلب أسد الدين بعد ذلك، وألزم مجد الدين أن يعرف لأسد الدين حقه ومنزلته، وعمل على الصلح بينهما.(١)

وبذلك يتبين أن ظهورهم على مسرح الأحداث السياسية متزامنًا مع ارتقاء نور الدين محمود عرش الدولة النورية في حلب والشام سنة ٥٤١هـ/١١٤٦م، وعلى الرغم من تأكيد المؤرخين على أن غيرهم من كبار الأمراء والشخصيات كانت لهم اسهاماتهم في توليه الأمور بعد والده إلا أنهم حاذوا ثقته وجعلهم المدبرين لدولته، ولا شك أن ذلك في المقام الأول يرجع إلى أنه تربى ونشأ بينهم من صغره باعتبار أن أمهم كانت دايته والقائمة على تربيته، لذلك نالوا الحظوة والمكانة وارتقوا برقيه مما جلب عليهم نقمة وغضب كبار الأمراء المقدمين في دولته وعلى رأسهم الأمير أسد الدين شيركوه، فاستدرك نور الدين الخطأ الذي وقع فيه بتفضيل أولاد الداية على من سواهم من كبار الأمراء في دولته، والذي أدى إلى إثارة الفرقة والأحقاد في النفوس؛ لذلك عمل نور الدين على ضبط الأمور وتحقيق التوازن في علاقاته مع كبار أمرائه وعدم محاباة أحدهم على حساب الآخر؛ لأن ذلك سيعود عليه بسوء العاقبة، ويجلب عليه حنق وغضب كبار أمرائه الذين يمثلون عماد دولته، وفي إطار ذلك عمل على ترضية أسد الدين شيركوه وتسكين غضبه وكسب وده عرفانًا منه بمكانته ودوره في خدمة الدولة الزنكية.

ثالثًا– أولاد الداية في عهد نور الدين محمود:

(١) أبو شامة، **الروضتين**، ج ١، ص ١٩٧؛ شكيب راشد آل فتاح، **صورة نور الدين** ص ٧٠، ص ٧١.

تبوأ أولاد الداية عديدًا من المهام في ظل حكم السلطان نور الدين محمود، وحاذوا ثقته، وكانوا من الكفاءة والخبرة مما أهلهم لذلك، فكان لهم دورهم السياسي وإسهاماتهم الإدارية والدينية، وقد جاءت على النحو التالي:

١-دورهم السياسي والإداري: كان الأتابك نور الدين محمود قد نجح في سنة ٥٤٩ هـ / ١١٥٤م في ضم دمشق إلى أملاكه في بلاد الشام، ثم اختارها مقرًا لحكمه بدلًا من حلب سنة ٥٥٣هـ/ ١١٥٨م أو ٥٥٤هـ/ ١١٥٩م، وعين على حلب نوابًا عنه، وكانوا جميعًا من الأمراء العسكر(١)، وكان نور الدين يتردد إلى حلب وأعمالها للغزو والنظر في شئونها إلى حين وفاته(٢)، وكان نوابه على حلب هم أولاد الداية، الذين شغلوا عديد من المناصب العليا في عهده فكان أخوهم الأكبر مجد الدين نائبًا لنور الدين على حلب وأعمالها(٣)، فيقول ابن العديم عنه وعن مكانته أنه: " **كان خصيصًا بنور الدين وجيهًا عنده وكان يعتمد عليه واستنابه بحلب حين غاب عنها**" (٤)، وبذلك فقد فوض إليه جميع أمور مملكته وجعله المتحكم في تدبير شئونه فلا يحل ولا يعقد إلا برأيه ومشورته، وكان يسكن معه في قلعة حلب، الحاضر عنده مساًء وصباحًا إذا طلب " **ففوض إليه جميع مقاصده وحكمه في ملكه وكانت حصونه به محصنة ومعاقله بشره مبرمة** "(٥).

---

(١) ابن العديم، **زبدة الحلب**، ج٢، ص ٣٠٣- ٣٠٥، ج٣، ص ١٤؛
Nafziger, George F. and Walton, Mark W. **Islam at War**, p 44.; Chamberlain, Michael. "***The Crusader Era***", p 212.

(٢) محمد راغب الطباخ، **إعلام النبلاء**، المجلد ٢، ص٧٢.

(٣) الذهبي، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، ط٢ (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٩٣م)، ج٣٩، ص ٢٣١.

(٤) ابن العديم، **بغية الطلب**، ج٩، ص ٤٠٠٤.

(٥) البنداري، **سنا البرق الشامي**، ص ٣٧.

وبذلك فقد وقع على عاتقه مسئولية حماية حلب وتأمينها ضد أي خطر داخلي أو خارجي يهددها، ويهدد عرش السلطان نور الدين محمود، سواء من المنافسين له من البيت الزنكي أو المجاورين له من الفرنج الطامعين المترصدين، فكان لمجد الدين ابن الداية دور كبير في حفظ وإدارة الأمور بحلب عند مرض نور الدين محمود والإرجاف بموته للمرة الأولى سنة ٥٥٢هـ/ ١١٥٧م ، والمرة الثانية سنة ٥٥٣هـ/ ١١٥٨م، حيث كانت إدارته الحازمة وحرصه على استقرار الأمور في حلب والشام وولائه لسيده نور الدين محمود سببًا في تغلبه على الأزمات التي أعقبت مرضه والإرجاف بموته. ففي سنة٥٥٢هـ/ ١١٥٧م عرض لنور الدين مرض حاد وهو بدمشق فلما اشتد به وخاف الهلكة استدعى أخاه نصرة الدين أمير أميران[١] وأسد الدين شيركوه وأعيان الأمراء والمقدمين وأوصى إليهم بأن يكون أخوه نصرة الدين وليًا لعهده ويكون مقيمًا بحلب ويكون أسد الدين في دمشق في نيابة نصرة الدين، واستحلفهم على ذلك، فلما اشتد به المرض توجه في محفة إلى حلب، واستقر في قلعتها وتوجه أسد الدين إلى دمشق لحفظ أعمالها من فساد الإفرنج[٢]، فأشيعت الأراجيف بموت نور الدين، فاضطربت الأمور، واضطربت الأعمال وطمع الفرنج في البلاد، وذلك بالتزامن مع مسير نصرة الدين إلى حلب ظنًا منه أن أخوه قد مات، وأنه هو القائم بالأمر بعده، وذلك بمقتضى العهد السابق أعلاه من أخيه نور الدين، فأغلق والى القلعة مجد الدين ابن الداية في وجهه الأبواب، ومنعه من دخول حلب؛ لأن نور الدين كان لا يزال على قيد الحياة، فقام نصرة الدين بحصار حلب، فثارت أحداث حلب من الشيعة، وعارضوا مجد الدين ابن الداية، وقالوا: هذا صاحبنا وملكنا بعد

(١) أمير ميران بن زنكي، أخو نور الدين الشهيد، أصابه على بانياس سهم في عينه فقتله، توفي سنة ٥٦٠هـ/١١٦٤م. الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج٩، ص ٢٢٠.

(٢) القلانسي، **تاريخ دمشق**، ج١، ص ٥٣٣؛ أبو شامة، **الروضتين**، ج١، ص ٣٤٧.

أخيه، وحملوا السلاح إلى باب حلب وكسروا أقفاله ودخل نصرة الدين في أصحابه، وأنكر أحداث الشيعة على مجد الدين ما قام به من منع نصرة الدين وتوعدوا له وتهددوه، واقترحوا على نصرة الدين اقتراحات من جملتها إعادة رسمهم في التأذين بـ (حي على خير العمل محمد وعلي خير البشر)، وكان نور الدين محمود قد أسقط هذا الرسم سنة ٥٤٣هـ/ ١١٤٨م وأذل الشيعة بحلب[١]، ولكن يبدو أن أخاه نصرة الدين لم يسر على نفس نهج أخيه، وكان جل همه أن يملك البلاد، ولذلك فقد أجابهم إلى ما رغبوا فيه، وأذن لهم بذلك فمالوا إليه، وثارت فتنة بين السنة والشيعة، ونهبت الشيعة بعض دور الحديث الخاصة بأهل السنة؛ ولكن مجد الدين ابن الداية نائب حلب ومتولي القلعة أنفذ إلى نصرة الدين وإلى الحلبيين الثائرين يقول: "**مولانا نور الدين حي في نفسه وما كان إلى ما فُعل حاجة**"، فصعد إلى القلعة من شاهد نور الدين حيًا[٢] يفهم ما يقول وما يقال له، فتفرق الناس عن نصرة الدين[٣]، وعندما علم نور الدين محمود بما وقع في مرضه، استنكر ما جرى وقال: "**أنا أصفح للأحداث عن هذا الخطل ولا أؤاخذهم بالزلل وما طلبوا إلا صلاح حال أخي وولي عهدي من بعدي**"، ثم عزل أخاه من ولاية العهد، وجعلها لأخيه قطب الدين صاحب الموصل، وسيره إلى حران واليًا عليها[٤]، وأعيد الأذان إلى ما كان عليه بأمر من نور الدين، وسكنت الفتنة.[٥]

(١) أبو شامة، **الروضتين**، ج٢، ص ١١٨

(٢) القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ج١، ص ٥٣٤؛ أبو شامة، **الروضتين**، ج١، ص٣٤٧؛ محمد راغب الطباخ، **إعلام النبلاء**، المجلد ٢، ص ٣٤

(٣) ابن الأثير، **الكامل**، ج٩، ص ٢٦٧

(٤) القلانسي، **تاريخ دمشق**، ج١، ص ٥٣٥؛ أبو شامة، **الروضتين**، ج ١، ص٣٤٩؛ محمد راغب الطباخ، **إعلام النبلاء**، المجلد ٢، ص٣٤

(٥) محمد راغب الطباخ، **إعلام النبلاء**، المجلد ٢، ص ٣٥

ويذكر أبو شامة أن نور الدين محمود حينما مرض بمرضه الذي شفي منه سنة ٥٥٢هـ/ ١١٥٧م، أن مجد الدين أراد استغلال الأمر لصالحه وطمع في الملك لنفسه فيقول: " **وكان مجد الدين طمع في الملك لنفسه فتحزم لأمره وتقرب إلى الناس وجعل له أصحاب أخبار وشحن الطرقات والسبل بالرجال بتفتيش الخارجين من حلب وغيرها والداخلين إليها**"(١)؛ وجدير بالذكر أن أبوشامة قد انفرد بذكر هذه الرواية ولم يذكرها غيره من المؤرخين السابقين له والذين اعتمد عليهم في تأريخه مثل ابن الأثير، وابن القلانسي وابن العديم، ولكن مما لا يضع مجالًا للشك أن مجد الدين ابن الداية لم يكن يسعى للملك لنفسه، وإنما ما قام به كان في محاولة منه لتأمين الدولة من أي خطر خارجي أو داخلي، وحتى لا تخرج الأخبار من حلب أو تدخل إليها إلا بعلمه، وحتى يتحكم فيما يذاع من أخبار أو شائعات بما يضمن تحقيق الأمن القومي للبلاد في ظل مرض السلطان نور الدين محمود، وخير دليل على ذلك أنه عندما اشتد المرض على نور الدين أواخر سنة ٥٥٣هـ/ ١١٥٨م أوائل سنة ٥٥٤هـ/١١٥٩م بدمشق "**بحيث أضعف قوته ووقع الإرجاف به من حساد دولته والمفسدين من عوام رعيته وارتاعت الرعايا وأعيان الأجناد وضاقت صدور قطان الثغور والبلاد خوفا عليه وإشفاقا من سوء يصل إليه لا سيما مع أخبار الروم والفرنج**"(٢)، فاستغل الأمراء بحلب مرض نور الدين واليأس من شفائه، وكاتبوا أخاه نصرة الدين ليأتي إلى دمشق ويسلموها له، وأرسلوا هذه الكتب مع رجل حمال من أهل دمشق يعرف بابن مغزو، ولكن الأمير مجد الدين النائب في حلب كان قد رتب في الطرقات من يحفظ السالكين فيها ويقوم بتفتيشهم، فظفر المقيم في مدينة

(١) أبو شامة، **الروضتين**، ج ١، ص٣٤٩

(٢) القلانسي، **تاريخ دمشق**، ج١، ص ٥٤٢؛ أبو شامة، **الروضتين**، ج١، ص ٣٨٢؛ محمد راغب الطباخ، **إعلام النبلاء**، المجلد ٢، ص ٣٧.

منبج[١] بالرجل الحمال ومعه كتب أمراء الشام إلى نصرة الدين في حران، فقبض عليه وأنفذه ومعه الكتب إلى مجد الدين متولي حلب، فلما وقف عليها أمر بصلب متحملها، وأنفذها في الحال في أوائل سنة ٥٥٤هـ /١١٥٩م إلى نور الدين في دمشق، فوجدها من أمين الدين زين الحاج أبى القاسم متولي ديوانه ومن عز الدين والي القلعة مملوكه ومن محمد بن جفري أحد حجابه إلى أخيه نصرة الدين أمير أميران صاحب حران "**بإعلامه بوقوع اليأس من أخيه ويحثونه على المبادرة والإسراع إلى دمشق لتسلم إليه**"[٢]، فقام نور الدين بعرض الكتب على أصحابها فاعترفوا بها فأمر باعتقالهم ، وقد هم نصرة الدين بالمسير إلى دمشق لانتزاعها من أخيه؛ ولكن ما إن بلغة خبر سلامة أخيه وعافيته حتى عاد أدراجه مرة أخرى إلى حران[٣].

وبذلك فقد كان للإجراءات التي اتخذها مجد الدين ابن الداية وإحكام قبضته على زمام الأمور دورها في كشف مخطط ومؤامرة أمراء دمشق مع نصرة الدين أمير أميران أخي نور الدين في الهجوم على دمشق وإقصاء أخيه نور الدين من الحكم، ولو لم يتمكن مجد الدين من هذا الأمر لكان قُدر لهذا المخطط أن ينجح لا سيما وأن من أرسل إلى نصرة الدين هم مدبرو الأمور بقلعة دمشق وبيدهم مفاتيحها.

---

(١) **منبج:** هي مدينة كبيرة واسعة ذات خيرات كثيرة وأرزاق واسعة في فضاء من الأرض، كان عليها سور مبني بالحجارة محكم، بينها وبين الفرات ثلاثة فراسخ، وبينها وبين حلب عشرة فراسخ، ومن منبج إلى حلب يومان ومنها إلى ملطية أربعة أيام وإلى الفرات يوم واحد. ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج٥، ص ٢٠٥-٢٠٦.

(٢) القلانسي، **تاريخ دمشق**، ج١، ص ٥٤٢؛ أبو شامة، **الروضتين**، ج١، ص ٣٨٢؛ محمد راغب الطباخ، **إعلام النبلاء**، المجلد ٢، ص ٣٧.

(٣) القلانسي، **تاريخ دمشق**، ج١، ص ٥٤٣؛ أبو شامة، **الروضتين**، ج١، ص ٣٨٣.

ويتبين أيضًا أن مجد الدين ابن الداية كان يتمتع بالحنكة السياسية والمهارة القيادية في إدارة الأمور ومواجهة الأزمات والتحديات باعتباره من أهل الكفاءة والخبرة، كما كان يتسم بالإخلاص والتفاني في خدمة نور الدين محمود والتمكين لدولته باعتباره من أهل ثقته.

وإلى جانب تولي مجد الدين منصب والي حلب وأعمالها نيابة عن نور الدين[١] فقد ضم إليه نور الدين محمود بعض القلاع والحصون والمدن التي فتحها كإقطاع له، فجعل عليها إخوته يحكمون نيابة عنه، ولعل أبرزها:

أ- **شيزر**[٢]: في سنة ٥٥٢هـ/١١٥٧م وقع زلزال عنيف خربت به شيزر،[٣]، فخرج إليها نور الدين محمود فاستولى عليها من بني مُنقذ وسلمها إلى

(١) ياقوت الحموي، **معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**، المحقق: إحسان عباس (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣ م) ، ج٥، ص ٢٠٨٠؛ أبو شامة، **الروضتين**، ج١، ص ٣١٦.

(٢) **شيزر**: بتقديم الزاي على الراء، وفتح أوله: قلعة تشتمل على كورة بالشام قرب المعرة، بينها وبين حماة يوم، في وسطها نهر الأردن عليه قنطرة في وسط المدينة أوله من جبل لبنان تعد في كورة حمص وهي قديم، سار أبو عبيدة من حماة بعد أن فتحها صلحا على الجزية إلى شيزر فتلقاه أهلها وسألوه الصلح على مثل صلح حماة ففعل، وذلك في سنة ١٧هـ/٦٣٨م، وينسب إلى شيزر جماعة، منهم الأمراء من بني منقذ وكانوا ملكوها. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص ٣٨٣.

(٣) **تاريخ الرهاوي المجهول١٢٣٤م**، ج٢، ص ١٨٣؛ محمد راغب الطباخ، **إعلام النبلاء**، المجلد٢، ص ٢٧-٢٨.

مجد الدين ابن الداية[١]، والتي سلمها بدوره لأخيه شمس الدين علي ليكون نائبًا له عليها[٢].

ج- **حارم**[٣]: في سنة ٥٥٩هـ/١١٦٣م منح نور الدين حارم بعد فتحها وكسر الفرنج إلى مجد الدين ابن الداية، فجعل عليها أخاه بدر الدين حسن نائبًا عنه[٤]، وكان مجد الدين قبل ذلك يتمنى أن يفتح نور الدين حارم ويعطيها له، "**فقدر الله أن نور الدين كسر الفرنج، وفتح حارم، وأعطاها مجد الدين**"[٥]، وتحققت أمنيته وحصل مبتغاه ومراده.

د- **قلعة جعبر**: في سنة ٥٦٤هـ/١١٦٨م ملك نور الدين محمود قلعة جعبر بعد أن أخذها من صاحبها شهاب الدين مالك العقيلي[٦]، وكانت بيده ويد آبائه من قبله من أيام السلطان ملكشاه(٤٦٥- ٤٨٥هـ/ ١٠٧٢-١٠٩٢م) ، وهي

---

(١) أبو شامة، **الروضتين**، ج ١، ص٣٤٩؛ محمد راغب الطباخ، **إعلام النبلاء**، المجلد٢، ص٢٩.

(٢) سبط بن الجوزي، **مرآة الزمان**، ج٢١، ص ٢٢٤.

(٣) **حارم**: بكسر الراء، هي حصن منيع، وكورة جليلة تجاه أنطاكية، وهي امن أعمال حلب، وفيها أشجار كثيرة ومياه، وهي لذلك وبئة، وهي فاعل من الحرمان أو من الحريم، كأنها لحصانتها يحرمها العدو وتكون حرما لمن فيها، وتعد الحد الفاصل بين حلب وإمارة أنطاكية الصليبية، وتقع على بعد عشرة أميال من أنطاكية من جهة الشرق، أي قرابة ستة عشر كيلو متر. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص ٢٠٥؛ شكيب راشد ال فتاح، " **صورة نور الدين محمود في كتاب تاريخ الرهاوي المجهول**"، حاشية ١٢٧، ص ٧٤.

(٤) سبط بن الجوزي، **مرآة الزمان**، ج٢١، ص ٢٢٤؛ ابن العديم، **زبدة الحلب**، ص٤٠٦؛ الغزي، **نهر الذهب**، ج١، ص ٣٧٩.

(٥) ابن العديم، **زبدة الحلب**، ص ٤٠٦.

(٦) هو شهاب الدين مالك بن علي بن مالك بن سالم بن مالك بن بدران بن المقلد بن المسيب العقيلي. البنداري، **سنا البرق الشامي**، ص ٣٨.

من أحسن القلاع وأحصنها تطل على الفرات من الجانب الشرقي، وكان الذي ساعده في الاستيلاء عليها الأمير مجد الدين ابن الداية نائبه في حلب ووالي معاقله . فقد أرسل الأمير نور الدين جيشًا لمحاصرتها فلم يظفر منها بشيء، فأمده الأمير نور الدين محمود بجيش آخر، وجعل على الجميع الأمير مجد الدين ابن الداية، فحاصرها مدة ،ولكنه لم يتمكن من فتحها، "**فأقام عليها وطاف حواليها فلم ير له في فتحها مجالا، ورأى أخذها بالحصر متعذرا محالا**" ، فسلك مع صاحبها طريق اللين، فأشار عليه أن يسلم القلعة ويأخذ من نور الدين ما يعوضه عنها، حتى لا يدفع حياته ثمنًا للدفاع عنها، فقبل قوله وسلمها، فأخذ عوض عنها سروج[١] وأعمالها، وعشرين ألف دينار والملاحة بين حلب وباب بزاعة[٢]، وتسلم مجد الدين قلعة جعبر وصعد إليها[٣]، وأرسل كتابه بالبشرى إلى نور الدين محمود بحلب، فسار إليها وصعد القلعة، ثم سلمها لمجد الدين ابن الداية، فولى

(١) **سروج:** فتحها عماد الدين زنكي سنة ٥٣٩هـ/١١٤٤م، وولي عليها حسان صاحب منبج ولم تزل بيده حتى توفي عماد الدين سنة ٥٤١هـ/١١٤٦م، وملك بعده ابنه نور الدين فأقره عليها حتى وفاته سنة ٥٤٢هـ/١١٤٧م فوليها بعده ولده سيف الدين أيوب حتى توفي سنة ٥٤٩هـ/١١٥٤م، فوليها ولده غازي حتى سلبه إياها نور الدين وجعلها لشهاب الدين علي بن مالك العقيلي. عز الدين ابن شداد، **الأعلاق الخطيرة**، ج٣-ق١، ص ١٠٦-١٠٧.

(٢) **باب بزاعة:** بليدة في طرف وادي بطنان من أعمال حلب، بينها وبين منبج نحو ميلين، وإلى حلب عشرة أميال، وهي ذات أسواق يعمل فيها كرباس كثير، ويحمل إلى مصر ودمشق. ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج١، ٣٠٣.

(٣) سبط بن الجوزي، **مرآة الزمان**، ج٢١، ص ١٤٨؛ ابن الأثير، **الكامل**، ج٩، ص ٣٣٦؛ ابن الوردي، **تاريخ ابن الوردي**، ج٢، ص٧٢؛ محمد راغب الطباخ، **اعلام النبلاء**، المجلد٢، ص ٤٨.

عليها أخاه شمس الدين علي[١]، ثم وليها بعده أخوه سابق الدين عثمان[٢]، وفي ذلك يذكر العمري عن مجد الدين" **كانت حلب وحارم وقلعة جعبر إقطاعه**"[٣].

ولا شك أن هذه القلاع والحصون كانت لها أهميتها الاستراتيجية والعسكرية في الدفاع عن بلاد الشام ضد هجمات الفرنج ولا سيما حارم والتي كانت تعد الحد الفاصل بين حلب وإمارة أنطاكية الصليبية، كما كان لها أيضًا أهميتها في توفير الدعم العسكري والحربي لنور الدين محمود لمواجهة أي غزو أو عدوان خارجي أو داخلي.

ومن المناصب والمهام أُسنِدت التي مجد الدين أيضًا أنه كان يتولى منصب مقدمًا للعساكر النورية، فيذكره القلانسي في (ذيل تاريخ دمشق) بـ " **الأمير الاسفهسلار**[٤] **مجد الدين أبو بكر محمد نائب المولى الملك نور**

(١) البنداري، **سنا البرق الشامي**، ص ٣٨؛ أبو شامة، **الروضتين**، ج٢، ص ٤٣؛ محمد راغب الطباخ، **إعلام النبلاء**، ج٢، ص ٤٨٣.

(٢) سنا البرق الشامي، ص ٣٧؛ **الروضتين**، ج٢، ص ٣٢٨.

(٣) ابن فضل الله العمري، شهاب الدين أحمد بن يحيى القرشي العدوي (ت: ٧٤٩هـ/ ١٣٤٩م)، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار** (أبو ظبي: المجمع الثقافي، ٢٠٠٢م)، ج٢٧، ص ٩٤.

(٤) **الإسفهسلار** "تركية أو فارسية": تطلق على أمير الأجناد؛ قال في صبح الأعشى: هي من ألقاب أرباب السيوف. ومعناه مقدم العسكر. مركب من أسفه وهو بالفارسية المقدم، وسلار وهو بالتركية العسكر. القلقشندي (أحمد بن علي بن أحمد الفزاري، ت: ٨٢١هـ/ ١٤١٨م)، **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء** (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت)، ج٦، ص ٦؛ أحمد رضا، **معجم متن اللغة (موسوعة لغوية حديثة)**، (بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٩٥٨م)، ج١، ص ١٥٧.

الدين في حلب"[١]، وفي ضوء ذلك فكانت له عديد من الصولات والجولات في قيادة الجيوش من حلب لجهاد الفرنج، وفي تأديب الأمراء المعارضين، وفي حصار القلاع والمدن وفتحها.

ففي سنة ٥٤٦هـ/١١٥١م سار نور الدين محمود بعسكرة إلى بلاد جوسلين[٢] الفرنجي صاحب تل باشر [٣]وأعمالها للاستيلاء عليها في إطار جهاده ضد الفرنج في شمالي حلب، ولما التقى الفريقان انهزم المسلمون وقُتِل منهم وأُسِر جمع كثير، فأراد نور الدين محمود أن يثأر للهزيمة التي لحقته، فأعمل الحيلة على جوسلين، وأحضر جماعة من أمراء التركمان وبذل لهم الرغائب إن هم ظفروا بجوسلين إما قتيلًا وإما أسيرًا، فقد علم أنه متى قصده تحصن واحتمى بحصونه وتقوى بأتباعه من الفرنج، فجعل عليه التركمان العيون حتى خرج للصيد فانقضوا عليه وظفروا به، ولكنه عرض عليهم أن يمنحهم المال نظير إطلاق سراحه، فأجابوه إلى ذلك، فأرسل في إحضاره فمضى بعض التركمان إلى مجد الدين ابن الداية، وأعلموه بحقيقة الأمر، فأعطاهم حتى

---

(١) ابن القلانسي، **تاريخ دمشق**، ج١، ص ٥٠٨.

(٢) **جوسلين:** هو جوسلين الثاني بن جوسلين دي كونتاي المعروف بجوسلين الأول ، كان من الامراء الصليبيين الذين ولدوا في المشرق ، حكم الرها بعد موت والده خلال الفترة من (٥٢٦هـ/١١٣١م) حتى سنة ٥٣٩هـ/ ١١٤٤م) ، ثم اتخذ بعد ذلك من قلعة تل باشر قاعدة له حتى تم أسره علي يد نور الدين محمود سنة ٥٤٥هـ/ ١١٥٠م، وقد وصفه المؤرخون بعدم الالتزام بالعهود والمواثيق بعد القبض عليه أمر نور الدين بسمل عينيه وسجنه مكبلًا بالسلاسل، فظل في السجن تسع سنوات إلى مات فيه، وكان القبض عليه سنة ٥٤٥هـ/ ١١٥٠م. **ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص ٤٤٩-٤٥٠؛ ابن الأثير ، الكامل ، ج٩، ص ١٨٠-١٨١؛ تاريخ الرهاوي المجهول١٢٣٤م**، ج٢، ص ١٨١.

(٣) **تل باشر:** قلعة حصينة في شمال حلب، بينهما مسيرة يومين وأهلها نصارى وأرمن ولها ربض وأسواق، وهي عامر وآهلة. ياقوت، **معجم البلدان**، ج٢، ص ٤٠.

أرضاهم، وأرسل جيشًا قبض على أولئك التركمان وجوسلين معهم، فأخذوه أسيرًا وأحضروه عنده في حلب، ولما أُسر سار نور الدين محمود إلى قلاعه فملكها وهي: تل باشر، وعين تاب[١] ، وإعزاز[٢]، وتل خالد، والراوندان، وبرج الرصاص، وحصن البارة، وكفر لاثا، ودلوك، ومرعش، نهر الجوز، وغير ذلك من الأعمال[٣]؛ ولكن ابن واصل يذكر عن ذلك الأمر: "... **وكاتب النواب بتل باشر في هذه السنة نور الدين – أعنى سنة ست وأربعين وخمسمائة – في أن يتسلمها، وكان نور الدين – رحمه الله – نازلا بدمشق، فكتب إلى مجد الدين أبى بكر بن الداية ليمض إليها ويتسلمها، فمضى إليها وتسلمها ... ثم تسلم عين تاب وعزاز وتل خالد وقورس والراوندان وبرج الرصاص وحصن البارة وكفر سود وكفر لاثا**"[٤].

وبذلك فقد انفرد ابن واصل في كتابه (مفرج الكروب) بذكر أن مجد الدين ابن الداية هو من تسلم تل باشر بنفسه وليس نور الدين محمود، دون أن يرد ذلك لدى غيره من المؤرخين السابقين عليه كابن الأثير وابن العديم وابن

(١) **عين تاب:** قلعة حصينة ورستاق بين حلب وأنطاكية وكانت تعرف بدلوك ودلوك رستاقها، وهي الآن من أعمال حلب. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص ١٧٦.

(٢)**عزاز**: بفتح أوله، وتكرير الزاي، وربما قيلت بالألف في أولها، والعزاز الأرض الصلبة: وهي بليدة فيها قلعة ولها رستاق شمالي حلب بينهما يوم. ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج٤، ص ١١٨.

(٣) ابن الأثير، **الكامل**، ج٩، ص ١٨٠– ١٨١؛ ابن العديم، **زبدة الحلب**، ص ٣٣٥؛ ابن الوردي، أبو حفص عمر بن مظفر بن عمر بن محمد ابن أبي الفوارس (ت: ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م)، **تاريخ ابن الوردي** (لبنان – بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٦م)، ج٢، ص ٤٩– ٥٠؛ ابن فضل الله العمري، **مسالك الأبصار**، ج٢٧: ص ٣٧–٣٨؛ محمد راغب الطباخ، **إعلام النبلاء**، المجلد٢، ص ٢٣– ٢٤.

(٤) ابن واصل، **مفرج الكروب**، ج١، ص ١٢٤.

القلانسي. بينما يؤكد ويجمع أغلب المؤرخين على أن مجد الدين ابن الداية هو صاحب الفضل في القبض على جوسلين وأسره.

وقد أبدى المؤرخون المسلمون فرحهم بأسره، لأنه كان " **أشد الفرنج شجاعة وأقواهم بأسا وأصحهم رأيا وأعظمهم مكيدة**"(١)، وعدّوا وقوعه في الأسر من أعظم الفتوح فيقول ابن الأثير:" **وكان أسره من أعظم الفتوح ؛ لأنه كان شيطانا عاتيا، شديدا على المسلمين، قاسي القلب، وأصيبت النصرانية كافة بأسره**"(٢)، وبعد أن أسره مجد الدين ظل عنده في قلعة حلب حتى وصل نور الدين محمود من دمشق فأمر بسمل عينيه وسجنه (٣). ولا شك أن ذلك من الإنجازات المهمة التي تحسب لمجد الدين ابن الداية وتؤكد على براعته وقدراته العسكرية في خدمة الدولة النورية والعالم الإسلامي أجمع.

وبعد أن تسلم مجد الدين تل باشر وأعمالها جعل عليها إخوته نيابة عنه، فجعل سابق الدين عثمان على تل باشر، وجعل بدر الدين حسن على عين تاب وعزاز وغيرهما، فيذكر البنداري وأبو شامة: "...**وشيزر مع أخيه شمس الدين علي وقلعة جعبر وتل باشر مع سابق الدين عثمان وحارم مع بدر الدين حسن وعين تاب وعزاز وغيرهما نوابه فيها وهو يصونها ويحميها**"(٤).

كما تولى مجد الدين قيادة الجيش عند الخروج من حلب لجهاد الفرنج سنة ٥٥٥هـ/١١٦٠م، حيث إن جوسلين بن جوسلين الذي كان يحكم حارم دخل بجيوشه إلى بعض أعمال حلب، وقام بأعمال السلب والنهب وعاث فيها الفساد، فخرجت إليه قوات المسلمين بقيادة مجد الدين ابن الداية فهزموه وقبضوا عليه

(١) ابن واصل، **مفرج الكروب**، ج١، ص ١٢٣

(٢) ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج٩، ص ١٨١

(٣) ابن واصل، **مفرج الكروب**، ج١، ص ١٢٤.

(٤) سنا البرق الشامي، ص ٣٧؛ **الروضتين**، ج٢، ص ٣٢٨.

وحملوه أسيرًا إلى قلعة حلب، وفي تلك السنة أيضًا أغار الفرنج بقيادة ريموند حاكم إمارة أنطاكية[١] على عين تاب من أعمال حلب، وأسروا التركمان ونهبوا أغنامهم، وعادوا يريدون أنطاكية، فخرج إليهم مجد الدين وأدركهم وهزمهم، وقتل منهم خلقًا عظيمًا، وأسر البرنس الثاني(ريموند حاكم أنطاكية) ومعه كثير من الفرنج، ودخل بهم إلى حلب سنة ٥٥٦هـ/١١٦٠م[٢]، وبذلك فكانت له إسهاماته في جهاد الفرنج ودفعهم عن حلب.

وفي سنة ٥٦٢هـ /١١٦٦م تولى مجد الدين قيادة الجيش بالمشاركة مع أسد الدين شيركوه لقتال غازي بن سيف الدين أيوب بن حسان نائب نور الدين محمود على سروج " **فنهد إليه عسكرًا مقدميه مجد الدين ابن الداية وأسد الدين شيركوه**"[٣]، الذي أعلن العصيان على نور الدين، وكان بيده منبج وسروج وقلعة نجم[٤]، فقاتلاه حتى تسلما منه منبج وقلعة نجم وأبقوا عليه سروج، ولم تزل

(١) **أنطاكية:** بالفتح ثم السكون والياء مخفّفة: هي قصبة العواصم من الثغور لشامية، من أعيان البلاد وأمّهاتها، موصوفة بالنزاهة والطّيب والحسن وطيب الهواء وعذوبة الماء وكثرة الفواكه، وسعة الخير؛ بينها وبين حلب يوم وليلة، وبها كانت مملكة الروم. ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج١، ٢٦٦-٢٦٩

(٢) ابن العديم، **زبدة الحلب**، ص ٣٤١- ٣٤٢؛ **تاريخ الرهاوي المجهول١٢٣٤م**، ج٢، ص١٨٥-١٨٦؛ الغزي، **نهر الذهب**، ج٣، ص٨٣

(٣) عز الدين بن شداد، **الأعلاق الخطيرة**، ج٣-ق١، ص ١٠٦.

(٤) **قلعة نجم:** قلعة حصينة مطلّة على شرقي الفرات على جبل، وتحتها ربض كان عندها جسر. ويقال لها: جسر منبج يعبر عليه إلى منبج، وبينهما أربعة فراسخ. ابن عبد الحق، صفيّ الدين عبد المؤمن ابن شمائل القطيعي البغدادي الحنبلي (ت: ٧٣٩هـ)، **مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع** (بيروت: دار الجيل، ١٤١٢ هـ/١٩٩١م)، ج٣، ص ١١١٨.

سروج في يده حتى انتزعها منه ومنحها لعز الدين علي بن مالك العقيلي عوضًا له عن قلعة جعبر التي استولى عليها سنة ٥٦٤هـ/١١٦٨م(١).

وفي سنة ٥٦٤هـ/١١٦٨م عندما انقطعت أخبار مصر ومن بها عن نور الدين، وكان اتصل بنور الدين وهو بدمشق خبر مسير الفرنج إلى ديار مصر ، فكاتب الأطراف يستنفر العساكر فقدم عليه عساكر الشرق جميعها واجتمعوا بأرض حلب، فقاد مجد الدين الجيش من حلب وسار إلى جهة حارم ونزل على أرتاح(٢)، وخرج نور الدين من دمشق وسار إلى أن اجتمع بعساكره على أرتاح وتسلم قيادة الجيش من مجد الدين، والتقى مع الفرنج وكسرهم ثم أرسل بذلك إلى أسد الدين شيركوه في مصر – كان نور الدين قد أرسله إلى العساكر النورية للتصدي للفرنج المحاصرين لها والطامعين فيها حيث أرسل الخليفة العاضد إلى نور الدين يستغيث به، ويعرفه ضعف المسلمين عن دفع الفرنج[٣]– ففت ذلك في عضد الفرنج المحاصرين له وخافوا على بلادهم، وطلبوا الانفصال عن شاور الذي اضطر إلى طلب الصلح من أسد الدين شيركوه(٤).

وبذلك فقد جمع مجد الدين في قبضته عددًا من المناصب الإدارية في حلب، حيث كان واليًا على حلب وأعمالها، ومتولي قلعة حلب، ومقدمًا للعساكر، كما كان المفوض في تدبير جميع الأمور بحلب وصاحب الأمر والنهي، وبذلك فإلى جانب ما تمتع به مجد الدين من مهارة سياسية وقدرات إدارية فقد تمتع أيضًا بالكفاءة العسكرية في قيادة الجيوش، والمهارة الحربية، والقدرة القتالية، ووضع الخطط الاستراتيجية للمعارك الحربية وتحقيق الفوز فيها، وبذلك فإن

(١) عز الدين بن شداد، **الأعلاق الخطيرة**، ج٣–ق١، ص ١٠٦.

(٢) **حصن أرتاح:** كان حصنا منيعا من العواصم معدودا من أعمال حلب. ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج١، ص ١٤٠

(٣) أنظر: ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج٩، ص ٣٣٨– ٣٤١.

(٤) أبو شامة، **الروضتين**، ج٢، ص٩١.

المناصب والمهام التي أُسندت إلى مجد الدين لم تكن لقرابته من نور الدين فقط وإنما امتلاكه للمقومات والكفاءة والقدرة والمهارة المؤهلة لذلك، ولو كانت القرابة فقط المقياس لتولى تلك المناصب الخطيرة باعتباره من أهل الثقة لما كتب له كل هذا النجاح والتميز إذا ما كان يفتقد للكفاءة والخبرة.

وقد أحسن مجد الدين الولاية والتدبير وتمتع بثقة سيده [١]، فكان يستشيره في أموره، وكان يفضي إليه بما يكنه في نفسه، فكان مجد الدين " **صاحب أمره وبيت سره**"[٢]، وما يدلل على ذلك أنه لما "**بلغ نور الدين وزارة شيركوه للعاضد واستبداده بالأمر كره ذلك وأمضه، وأخذ يتحدث في ذلك، وأفضى به إلى الأمير مجد الدين ابن الداية. وأخذ يعمل الحيلة في إفساد أمر أسد الدين وابن أخيه صلاح الدين**"[٣].

وقد ظل مجد الدين يتمتع بالمكانة السامية والمنزلة الرفيعة لدى نور الدين حتى وفاته بحلب في شهر رمضان سنة ٥٦٥هـ/١١٦٩م، فأحزن ذلك نور الدين "**لأنه كان صاحب أمره**"[٤]، "**وكان أعظم الأمراء منزلة عنده**"[٥]، "**واتفق موت العمادي في هذه السنة [وكان من أعظم أمرائه] فبكى نور الدين، وقال: قص**

(١) ابن العديم، **زبدة الحلب**، ص ٣٣٥.

(٢) الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج١٠، ص ١٤٦.

(٣) المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي (ت: ٨٤٥هـ/١٤٤١م)، **اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء**، حققه: محمد حلمي محمد أحمد (القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، ١٩٩٦م)، ج٣، ص ٣٠٤.

(٤) بهاء الدين ابن شداد، أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم بن عتبة الأسدي الموصلي (ت: ٦٣٢هـ/١٢٣٤م)، **النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية (سيرة صلاح الدين الأيوبي)**، تحقيق: الدكتور جمال الدين الشيال، ط٢ (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٩٤ م)، ص ٨٣.

(٥) ابن الأثير، **الكامل**، ج٩، ص ٣٥٦.

جناحاي"[١]، ولا شك أن ذلك خير تأكيد على ما وصل إليه مجد الدين من القوة والنفوذ والمكانة التي لم يكن يضاهيها أحد حتى عده نور الدين بمثابة أحد جناحيه حيث كان يتولى نيابة حلب وأعمالها في شمالي الشام يضبط أمورها ويتولى شئونها، أما محمد بن العمادي فهو أمير حاجبه، توفي بدمشق، "**وكان عزيزا عنده، وصاحبه وحاجبه**"[٢]، وبالتالي فكان حزنه علي فقدهما شديد [٣].

ودفن مجد الدين بحلب، وتقع تربته بالقرب من مقام إبراهيم عليه السلام[٤] . وبعد وفاته رد نور الدين ما كان له إلى أخيه شمس الدين علي[٥]، "**وكانت حلب وحارم وقلعة جعبر إقطاعه، فأقرّ نور الدين أخاه عليا على إقطاعه**"[٦] ، فقام بأمر النيابة بعده وتولى على ما كان تحت يده من الإقطاعات [٧]، وصار أمر حلب راجعًا إليه وإلى إخوته في أيام نور الدين، وكان هو المتولي لأمور حلب[٨] ، ومعه أخواه سابق الدين عثمان، الذي تولى مقدمًا على العساكر (قائد الجيش) خلفًا لأخيه مجد الدين بأمر من نور الدين محمود[٩] "**وقدم على العساكر سابق الدين عثمان بن الداية أخا مجد الدين**"[١٠]، وكان أخوه الثالث

(١) سبط بن الجوزي، **مرآة الزمان**، ج ٢١، ص ١٢٢.

(٢) سبط بن الجوزي، **مرآة الزمان**، ج ٢١، ص ١٥٦.

(٣) أبو شامة، **الروضتين**، ج٢، ص ١٤١؛ الذهبي ، **تاريخ الإسلام**، ج٣٩، ص ٢٣١.

(٤) سبط بن الجوزي، **مرآة الزمان**، ج ٢١، ص ١٢٢؛ ابن العديم، **بغية الطلب**، ج٨، ص ٣٨٣٤.

(٥) ابن الأثير، **الكامل**، ج٩، ص ٣٥٦؛ **تاريخ ابن الوردي**، ج٢، ص ٧٦.

(٦) ابن فضل الله العمري، **مسالك الأبصار**، ج٢٧: ص ٩٤.

(٧) محمد راغب الطباخ، **إعلام النبلاء**، مج٢، ص ٧٢.

(٨) ابن العديم، **زبدة الحلب**، ص ٣٦٠.

(٩) الذهبي، **تاريخ الإسلام**، ج٣٩، ص٢٣١.

(١٠) سبط بن الجوزي، **مرآة الزمان**، ج ٢١، ص ١٢٢.

الأمير بدر الدين حسن متولي الشحنكية[١] (مسئول الشرطة والأمن العام) بمدينة حلب[٢].

وبذلك يتبين أن أولاد الداية بعد وفاة أخيهم مجد الدين قد تمتعوا بالقدرات والكفاءات التي جعلت نور الدين يعهد إليهم بالمهام والمناصب التي كان ينعم بها مجد الدين في دولته، كما أقطعهم ما كان تحت يده من الإقطاعات، وعهد إليهم بأمور حلب السياسية والإدارية والعسكرية، وظل أولاد الداية يقومون بدورهم في خدمة الدولة النورية وتدبير أمور حلب وأعمالها حتى وفاة نور الدين محمود سنة ٥٦٩هـ/١١٧٣م.

٢- **دورهم الديني:** كان أهل حلب حينئذ الغالب عليهم التشيع[٣]، فكان أهل حلب غلاة في التشيع[٤] حيث دخل المذهب الشيعي إليها منذ عهد سيف الدولة الحمداني(٣٣٣- ٣٥٦هـ/ ٩٣٥- ٩٦٧م)، "**وكان سيف الدولة يتشيع، فغلب على أهل حلب التشيع لذلك**"[٥]، وصار المذهب الرسمي

(١) مادة (ش ح ن)، والشحنة بكسر السين، هو اسم للرابطة من الخيل في البلد من أولياء السلطان لضبط أهله، وليس باسم الأمير والقائد كما تذهب إليه العامة، والنسبة إليه شِحْنيّ، ولا تقل شحنكية، والكلمة عربية صحيحة، واشتقاقها من: شحنتُ البلد بالخيل، إذا ملأته. كان الشِحنَة في المشرق يتولى ما كان يتولاه صاحب الشرطة في الأندلس، وهو الحاكم، وهو رئيس الشرطة، والشحنكية: منصب الشِحنَة ومنصب الحاكم. الجوهري، **الصحاح تاج اللغة**، ج٥، ص ٢١٤٣؛ الصفدي، **صحيح التصحيف وتحرير التحريف**، حققه وعلق عليه وصنع فهارسه: السيد الشرقاوي، راجعه: الدكتور رمضان عبد التواب (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٨٧ م)، ص ٣٣٢.

(٢) ابن العديم، **زبدة الحلب**، ص ٣٦٠.

(٣) ابن الشحنة الصغير، **الدر المنتخب**، ص ١٠٩.

(٤) ابن الأثير، **الكامل**، ج٨، ٥٢٤.

(٥) ابن العديم، **بغية الطلب**، ج١، ص ٦٠.

للدولة الحمدانية(٣٣٣- ٤٠٦هـ/ ٩٣٥- ١٠١٥م) في حلب منذ عهد سعد الدولة الحمداني (٣٥٦هـ- ٣٨١هـ/ ٩٦٧- ٩٩١م)، حيث غير صيغة الأذان **وزاد فيه: (حي على خير العمل، محمد وعلي خير البشر)**[١]، وصار التشيع على مذهب الشيعة الإمامية هو الغالب على أهل حلب[٢]، وبعد انتهاء حكم الدولة الحمدانية في حلب تمتع الشيعة في حلب بالتسامح الديني من قبل السلطات الحاكمة المتوالية على حكم حلب، وذلك حتى عهد نور الدين محمود الذي تولى على حلب خلفاً لوالده سنة ٥٤١هـ/١١٤٦م، حيث تغيرت هذه السياسة وانتهج نور الدين سياسة ممنهجة ومشددة للحد من انتشار مذهبهم[٣]، فقام نور الدين محمود ببعض الإجراءات في سبيل ذلك كان أبرزها إصدار القرار بتغيير صيغة الأذان ومنع المؤذنين من قولهم حي على خير العمل حسب صيغة الآذان لدى الشيعة، ومنع سب الصحابة[٤]، ونفي عدد من كبار زعماء الشيعة في حلب إلى خارجها[٥]، وفي ذلك يقول صاحب الروضتين عن نور

(١) ابن العديم، **بغية الطلب**، ج١، ص ١٠٠.

(٢) جمال الدين القفطي، أبو الحسن علي بن يوسف بن إبراهيم الشيباني (ت: ٦٤٦ هـ/ ١٢٤٨م)، **إخبار العلماء بأخبار الحكماء**، المحقق: إبراهيم شمس الدين (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٥ م)، ص ٢٢؛ ابن العديم، **بغية الطلب**، ج١، ص ٦١.

(٣) شيرين شلبي العشماوي، **كتابات ابن أبي طي الحلبي في المصادر الإسلامية**: دراسة تحليلية (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ٢٠١٠م)، ص ٣٦- ٣٧.

(٤) القلانسي، **ذيل تاريخ دمشق**، ص٤٦٨؛ ابن تغري بردي، **جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي (ت: ٨٧٤هـ/١٤٦٩م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة** (مصر: دار الكتب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، د.ت)، ج٥، ص ٢٨٢؛ شيرين شلبي، **كتابات ابن أبي طي الحلبي**، ص ٣٧.

(٥) أبو شامة، **الروضتين**، ج٢، ص ١١٨؛ شيرين شلبي، **كتابات ابن أبي طي الحلبي**، ص ٣٧- ٣٩.

الدين محمود: " ... **قد أذل الشيعة بحلب وأبطل شعارهم وقوى أهل السنة**"(١)، كما قام بإنشاء عدد من المنشآت والمراكز الدينية العلمية لنشر المذهب السني في حلب، منها المدارس على مذاهب الأئمة الأربعة التي تهتم بتدريس الفقه الحنفي والشافعي والحنبلي والمالكي، فلم يهمل مذهب على حساب الآخر، وإنما أنشأ المدارس التي تخدم كل المذاهب الفقهية السنية وذلك لنصرة المذهب السني(٢) ، كما أنشأ دور الحديث و الخوانق(٣) بداخل حلب وظاهرها(١)، فكان نور الدين محمود عارفًا بالفقه على المذهب الحنفي(٢) "**وليس عنده فيه تعصب**"(٣)،

---

(١) أبو شامة، **الروضتين**، ج٢، ص ١١٨.

(٢) التقي الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد الحسني المكي (ت: ٨٣٢ هـ/ ١٤٢٨م). **العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين**، تحقيق: محمد عبد القادر عطا (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨ م)، ج١، ص ١١٧؛ تازي عائشة." **الجهود العلمية لنور الدين محمود في مقاومة الوجود الشيعي ببلاد الشام**"، عصور الجديدة– المجلد ٧– العدد، (٢٠١٧–٢٠١٨م)، ص ١٣٠.

(٣) الخانقاه كلمة فارسية قيل: أصلها خونكاه أي الموضع الذي يأكل فيه الملك. وجمعها خوانق، وكذلك الرباطات والزوايا: معاهد دينية إسلامية للرجال والنساء، أنشئت لإيواء المنقطعين والزهاد والعباد. ولفظ الرباط والزاوية عربيان، أما الخانقاه ففارسية ومعناها البيت، وهي زوايا الصوفية لم تعهد على هذا النمط إلا في القرن السادس، وأول من بناها من الملوك بمصر السلطان صلاح الدين يوسف ورتب للفقراء الواردين أرزاقاً معلومة. وقال المقريزي: إن الخوانك حدثت في الإسلام في حدود الأربعمائة من سني الهجرة، وجعلت ليتخلى الصوفية فيها لعبادة الله تعالى، وإن أول من اتخذ بيتاً للعبادة زيد بن صوحان بن صبرة، وذلك أنه عمد إلى رجال من أهل البصرة قد تفرغوا للعبادة وليس لهم تجارات ولا غلات فبنى دوراً وأسكنهم فيها وجعل لهم ما يقوم بمصالحهم من مطعم، ومشرب، وملبس، وغيره. المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي (ت: ٨٤٥هـ/١٤٤١)، **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار** (بيروت: =

فقد عمل نور الدين محمود على إقامة دولة على أصول أهل السنة، والقضاء على البدعة والفكر الشيعي المنتشر في العالم الإسلامي في تلك الفترة[٤] ، فقد قال عنه ابن كثير: "**أظهر نور الدين ببلاده السنة وأمات البدعة، وأمر بالتأذين بحي على الصلاة حي على الفلاح، ولم يكن يؤذن بهما في دولة أبيه وجده، وإنما كان يؤذن بحي على خير العمل، لأن شعار الرفض كان ظاهرا**"[٥]، وقد ساعده على القيام بذلك جماعة من أهل السنة بحلب[٦]، وعلى رأسهم أولاد الداية، وفي ضوء ذلك يذكر ابن الفرات: "**أن بني الداية كانوا من**

=

دار الكتب العلمية، ١٩٥٦م)، ج٤، ص ٢٨٠؛ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت: ٩١١هـ/ ١٥٠٥م)، **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم (مصر: دار إحياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٩٦٧ م)، ج٢، ص٢٦٠، ص ٢٥٦(حاشية١)؛ كرد علي، **خطط الشام**، ط٣ (دمشق: مكتبة النوري، ١٩٨٣ م)، ج٦، ص ١٣٠.

(١) **أبو ذر سبط ابن العجمي**، موفق الدين أحمد بن إبراهيم بن محمد بن خليل (ت: ٨٨٤هـ/ ١٤٧٩م)، **كنوز الذهب في تاريخ حلب** (حلب: دار القلم، ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٦م)، ج١، ص ٣٨٩، ٣٩١، ٤٠٢.

(٢) أبو الفداء، **المختصر**، ج ٣ ص ٥٥؛ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ/١٣٧٢م)، **البداية والنهاية**، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي (الجيزة –مصر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان،١٩٩٧ م)، ج١٦، ص ٤٨٠.

(٣) أبو الفدا، **المختصر في أخبار البشر**، ج ٣، ص ٥٥.

(٤) تازي عائشة." **الجهود العلمية لنور الدين محمود**"، ص ١٢٨.

(٥) ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج١٦، ص٤٨١.

(٦) ابن القلانسي، **تاريخ دمشق**، ص٤٦٨؛ محمد راغب الطباخ، **إعلام النبلاء**، ج٢، ص ١٣؛ تازي عائشة." **الجهود العلمية لنور الدين محمود** "، ص ١٢٨.

أشد المتعصبين لمذهب السنة، وكانت بأيديهم تمشي أحوال السنة بحلب، وأنهم هم الذين حببوا إلى الملك العادل نور الدين محمود الميل للسنة"[١]، فكان لأولاد الداية شأنهم في هذا المضمار فأقاموا عددًا من المنشآت الدينية بغرض نشر المذهب السني والحد من انتشار المذهب الشيعي في حلب، وكانوا شديدي التعصب للمذهب السني، وكان ذلك هو السبب الرئيس لإنشاء تلك المراكز الدينية، وخير تأكيد على ذلك ما قاله مجد الدين ابن الداية على لسان نور الدين محمود:" **نحن ما أردنا ببناء المدارس إلا نشر العلم ودحض البدع من هذه البلدة وإظهار الدين**"[٢] ، ولعل أبرز تلك المنشآت والمراكز الدينية التي أنشاها أولاد الداية في حلب وبالأخص أخوهم الأكبر مجد الدين الذي أنشأ مدرستين بمحلة بزة هما المدرسة المجدية الجوانية(الداخلية) بالقرب من ضريح النبي بلوقيا، والمدرسة المجدية البرانية خارج بوابة النبي، والتي تعد من المدراس الحنفية بحلب التي كان يدرس فيها الفقه الحنفي، والذي يعتنقه أولاد الداية والذي كان يعد المذهب الرسمي للدولة النورية آنذاك، وقد خُربت المدرستان بعد ذلك ولم يبق منهما عين ولا أثر، كما أن المصادر لم تحدد تاريخ إنشاء هاتين المدرستين[٣].

---

(١) ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم (ت: ٨٠٧هـ/١٤٠٥م)، **تاريخ ابن الفرات**، تحقيق: حسن محمد الشماع (البصرة– العراق: د. ن، ١٩٦٩م)، ج٤، ق١، ص ١٠٧نقلاً عن: شيرين شلبي، **كتابات ابن أبي طي الحلبي**، ص ٥١.

(٢) أبو شامة، **الروضتين**، ج١، ص ٦١؛ محمد راغب الطباخ، **اعلام النبلاء**، المجلد٢، ص ٦٠.

(٣) ابن الشحنة، **الدر المنتخب**، ص ١٢٠؛ محمد راغب الطباخ، **اعلام النبلاء**، المجلد ٢، ص ٧٣؛ **خطط الشام**، ج٦، ص ١١٠؛ كامل بن حسين الغزي، **نهر الذهب**، **ج٢**، ٢٩٢.

ومن المنشآت الدينية التي ساهم مجد الدين ابن الداية في إنشائها في حلب في إطار مشروع مقاومة الوجود الشيعي، أنشأ دار الحديث[١]، حيث حَدّث بحلب عن جماعة من الشيوخ الذين أجازوا له[٢]، كما سمع منه عدد من الفقهاء منهم الحسين بن محمد بن أسعد بن حليم[٣] ، وهو فقيه حنفي[٤]، كما أنشأ أيضًا الخانقاه المجدية بعرصة ابن الفراتي، وهي معروفة باسمه، وهي داخل حلب بالقرب من باب العراق[٥]، وكان شيخ هذه الخانقاه محمد بن محمود بن أحمد القرشي، وهو صوفي من أصبهان[٦]، كما أنشأ خانقاه أخرى في مقام إبراهيم في حلب، وهي الخانقاه التي فيها تربته التي دفن فيها[٧]، وبنى مجد الدين بحلب خان السبيل خارج باب الأربعين، وأباح ما حوله من الأراضي لمن يعمر فيها ،ووقف عليه وقفا، ووقف الأراضي التي حول مقام إبراهيم بحلب خارج

(١) ابن الشحنة، **الدر المنتخب**، ص ١٢٣؛ محمد راغب الطباخ، **اعلام النبلاء**، المجلد ٢، ص ٧٣.

(٢) ابن العديم، **بغية الطلب**، ج١٠، ص ٤٣٦٨.

(٣) الفقيه المعروف بالنجم، قرأ الادب على ملك النحاة أبي نزار والفقه على أبيه محمد بن أسعد وسمع منه ومن الامير مجد الدين محمد بن محمد بن نوشتكين المعروف بابن الداية بحلب، وولي التدريس بالمدرسة المعروفة بالحدادين بحلب. ابن العديم، **بغية الطلب**، ج٦، ص ٢٧٤٥.

(٤) ابن العديم، **بغية الطلب**، ج٦، ص ٢٧٤٥.

(٥) ابن العديم، **بغية الطلب**، ج٧، ص ٣٤٦٥؛ عز الدين بن شداد، **الأعلاق الخطيرة**، ج١-ق١، ص ٢٣٤؛ الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج١٠، ص ١٤٦؛ ابن الشحنة، **الدر المنتخب**، ص١٠٧؛ **خطط الشام**، ج٦، ص ١٤١؛ محمد راغب الطباخ، **إعلام النبلاء**، المجلد ٢، ص٧٣.

(٦) ابن العديم، **بغية الطلب**، ج٧، ص ٣٤٦٥.

(٧) الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج١٠، ص ١٤٦.

بـاب العـراق علـى الصـوفية[١]. كمـا أنشـأ أخـوه بـدر الـدين حسـن المدرسـة البدريـة[٢]، وكانـت تعد من أهم مدارس دمشق التـي كـان يقوم العلمـاء بالتدريس فيها وكتابة المصنفات والعكوف على المطالعة[٣].

وبذلك فقد بذل أولاد الداية وبـالأخص أخوهم مجد الدين جهودًا كبيرة فـي بنـاء المـدارس والمنشـآت العلميـة للقضـاء علـى الفرق الضـالة وتطهيـر المجتمـع الإسـلامي فـي حلـب، ولمـا كانـت هـذه المنشـآت بحاجـة إلـى مـوارد ماليـة ثابتـة، تضـمن لهـا الاستمرار فـي أداء رسـالتها كـان الوقـف هـو المصـدر الأول لتمويلهـا، والذي أُعتبر بمثابة الدخل الدائم الذي يُصرف على المعلمين والطلبة.

كمـا عمـل أولاد الداية علـى تحـريض نـور الـدين محمـود علـى نفـي زعمـاء الشيعة من حلب وكان على رأسهم أبو طـي النجار[٤]، وكـان بنـو الداية قد "..

(١) الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج١٠، ص ١٤٦.

(٢) عبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي (ت:٩٢٧هـ/ ١٥٢٠م)، **الـدارس فـي تـاريخ المدارس**، المحقق: إبراهيم شمس الدين (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٠م)، ج١، ص ٣٦٥.

(٣) سبط بن الجوزي، **مرآة الزمان**، مقدمة المحقق، ج١، حقق هذا الجزء وعلق عليه: محمد بركات وكامل الخراط وعمار ريحاوي، ص ١٧.

(٤) هو أبو طي حميد النجار بن ظافر بن علي بن عبدالله بن الحسن بن محمد بن الحسن الغساني الحلبي، والد المؤرخ ابن أبي طي(توفي بعد عام ٦٥٠هـ/ ١٢٥٢-١٢٥٣م) ، كان أبي طي النجار من كبار زعماء الشيعة الإمامية الاثنا عشرية في حلب، كان يتمتع بمكانية دينية كبيرة في حلب، كان أولاد الداية وجرديك قد لعبوا دورًا مهمًا من قبل مع نور الدين محمود في إجراءاته المشددة التي اتبعها مع زعماء الشيعة في حلب في عام ٥٤٣هـ/ ١١٤٨م؛ لتقويض المذهب الشيعي، والتي كانت سببًا في نفي أبي طي من حلب، ثم عاد ابي طي النجار إلى حلب مرة أخرى وشارك في الفتنة التي وقعت فيها سنة ٥٥٢هـ/ ١١٥٧م أثناء إصابة نور الدين محمود بمرض كاد يودي بحياته حيث كان له =

تعصبوا عليه حتى نفاه نور الدين من حلب"، بسبب تحريضهم لنور الدين محمود ضده بسبب ميوله الشيعية(١).

وبذلك فقد ساهم أولاد الداية في تحويل المجتمع الحلبي من مذهب الشيعة الإمامية إلى المذهب السني الحنفي، وفي سبيل ذلك أنشأوا المؤسسات التعليمية من المدارس ودور الحديث، كما اهتموا بالتصوف وشجعوا عليه وأنشأوا لذلك الخانقاوات، وجعلوا عليها الأوقاف المخصصة للإنفاق عليها وعلى المقيمين فيها لتوفير ما يحتاجون إليه.

ولم يقتصر نفوذهم الديني على المخالفين لهم من الشيعة، بل كان لهم نفوذ على الفقهاء من أهل السنة وخير تأكيد على ذلك ما ذكره ابن الفرات: " **وكانت بأيديهم تمشي أحوال السنة بحلب**"(٢)، فكان مجد الدين ابن الداية يتدخل في الأمور الدينية بسبب توليه منصب نائب حلب عن نور الدين، مما يفسر تدخله في جميع أمور حلب السياسية والدينية والإدارية، ومن مظاهر هذا النفوذ الديني الذي كان يتمتع به مجد الدين أنه كان سببًا في عزل الفقيه الحنفي برهان الدين البلخي(٣) من التدريس بالمدرسة الحلاوية(١)، لوحشة وقعت بينهما، فأُخرِج

=

دور قيادي في أحداث تلك الفتنة، والتي كانت سببًا في نفيه إلى حران، وقد ظل والد ابن ابي طي منفيًا خارج حلب مدة لا نعلمها ثم عاد إلى حلب بعد وفاة نور الدين محمود. شيرين شلبي، **كتابات ابن ابي طي الحلبي**، ص ٤٢-٤٧، ص ٥١، ص ٦٨.

(١) أبو شامة، **الروضتين** ج٢، ص ٢٤٧- ٢٤٨.

(٢) **تاريخ ابن الفرات**، ج٤، ق١، ص ١٠٧نقلاً عن شيرين شلبي، **كتابات ابن أبي طي الحلبي**، ص ٥١.

(٣) برهان الدين أبي الحسن علي بن الحسن البلخي الحنفي، تفقه بما وراء النهر على البرهان بن مازه ببخاري، وعلى جماعة من الأئمة، وسمع الحديث بما وراء النهر وبغداد ومكة، قدم دمشق وجلس للوعظ في المدرسة الصادرية، ثم رحل منها إلى مكة ثم عاد مرة أخرى =

من حلب وقصد دمشق فأقام بها حتى وفاته سنة ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م [٢]، ولم تذكر المصادر سبب الوحشة التي وقعت بين مجد الدين والفقيه الحنفي.

كما كان مجد الدين أيضًا سببًا في عزل قاضي حلب أبي الفضل هبة الله[٣] سنة ٥٥٧هـ/ ١١٦١م، وسبب ذلك أن السلطان نور الدين محمود طلب من القاضي أبي الفضل أن يكتب في سجلاته ذكر النيابة عنه، فامتنع القاضي، وترددت المراسلات بين القاضي والأمير نور الدين في قبول النيابة وهو يأبى،

=

إلى دمشق وتولى التدريس بالمدرسة الصادرية، ثم رحل من دمشق إلى حلب وتولى التدريس بالمدرسة الحلاوية. سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، ج٢٠، ٤٤٠-٤٤٢؛ ابن الفوطي، كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد الشيباني (ت: ٧٢٣ هـ/١٣٢٣م)، **مجمع الآداب في معجم الألقاب**، المحقق: محمد الكاظم (إيران: مؤسسة الطباعة والنشر – وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، ١٤١٦هـ)، ج٢، ص ٣٠٧.

(١) كانت من المدارس الحنفية المشهورة في حلب، مؤسسها هو السلطان نور الدين محمود سنة ٥٤٤هـ/ ١١٤٩م، وكانت في الأصل كنيسة من بناء الامبراطورة هيلانة أم قسطنطين ثم تحولت إلى مسجد سنة ٥١٨هـ/ ١١٢٤م عُرف بمسجد السراجين، وعندما ملك نور الدين محمود حوّله إلى مدرسه لتدريس الفقه الحنفي. ابن الشحنة، **الدر المنتخب**، ص ١١٥.

(٢) ابن العديم، **زبدة الحلب**، ص ٣٣٢؛ ابن شداد، **الأعلاق الخطيرة**، ج١-ق١، ص ٢٦٦.

(٣) ابن القاضي أبو غانم محمد بن القاضي أبي الفضل هبة الله بن القاضي أبي الحسن أحمد، كان أبو الفضل فقيهاً ورعًا وزاهدًا، سمع الحديث ورواه، ولي القضاء بحلب وأعمالها بعد موت أبيه القاضي أبي غانم، وذلك بعهد من أتابك زنكي بن آق سنقر في سنة ٥٣٤هـ/١١٣٩م، ثم جاءه العهد من الزينبي قاضي قضاة بغداد وأمر الخليفة المقتفي، وكان مولده سنة ٤٩٩هـ/١١٠٥م، ومات القاضي أبو الفضل سنة ٥٦٢هـ/١١٦٦م. ابن العديم، زبدة الحلب، ص ٣٤٢؛ ياقوت الحموي، **معجم الأدباء**، ج٥، ص ٢٠٨٠.

وأمام معارضة القاضي أبي الفضل لأمر نور الدين محمود، تدخل مجد الدين ابن الداية " **لشيء كان في نفسه على القاضي أبي الفضل لأمور كان يخالفه فيها في أقضية يوفر فيها جانب الحق على أغراضه**"، وقال للأمير نور الدين محمود: " **هذا تحكم منه في الدولة وفيك إذ تأمره بشيء ولا يمتثله، فاعزله وول محيي الدين بن كمال الدين** "، فعُزل القاضي أبو الفضل بمشورة مجد الدين ابن الداية الذي حسّن لنور الدين محمود عزله، وولي عوضه محيي الدين بن كمال الدين قضاء حلب، وذلك سنة ٥٥٧هـ/ ١١٦١م، ومات القاضي أبو الفضل سنة ٥٦٢هـ/١١٦٢م.(١)

وبذلك يلاحظ أن أولاد الداية لم يكونوا من أهل الثقة فقط باعتبارهم أخوة نور الدين محمود من الرضاعة، وإنما امتلكوا المؤهلات والكفاءات التي تؤهلهم لتصدر المشهد السياسي وتولي الزعامة السياسية والإدارية والدينية، حيث لم تكن شهرتهم قياسًا على قرابتهم من نور الدين محمود، وإنما أثبتوا أنهم يمتلكون الكفاءات والجدارات السياسية والمهارات الإدارية والقيادية، بالإضافة إلى أنهم كانوا من أهل الثقة ولا سيما أخوهم مجد الدين، فلم يصدر منهم خلال عهد نور الدين أي محاولة للانفراد بالسلطة أو الانقلاب على نور الدين محمود، وهو ما يحسب لهم وله أيضًا لأنه أحسن الاختيار لمن هم أهل ثقته وأمانته وأحسن أيضًا التوازن وضبط الأمور، فقد أثبت أنه يمتلك المعايير لاختيار الكفاءات والقيادات القادرة علي الإدارة واتخاذ القرارات.

(١) ابن العديم، **زبدة الحلب**، ص ٣٤٢؛ ياقوت الحموي، **معجم الأدباء**، ج٥، ص ٢٠٨٠.

ثالثًا: الوضع السياسي لأولاد الداية[١] إبان وفاة نور الدين محمود سنة ٥٦٩هـ/١١٧٣م:

١- **الصراع بين أولاد الداية والقاضي ابن الخشاب على السلطة في حلب:** ما إن وردت الأخبار إلى حلب من دمشق بوفاة الأتابك نور الدين حتى دب النزاع بين أقطاب السلطة في حلب ويمثلهم أولاد الداية من جهة، وأتباع القاضي أبي الفضل بن الخشاب رئيس المدينة ومقدم الشيعة فيها من جهة أخرى، وكانت مقاليد الحكم في حلب يتقاسمها أمراء العسكر وعلى رأسهم بني الداية نواب الأتابك نور الدين، وهم: الأمير شمس الدين علي ابن الداية أمير حلب وأمير العسكر والديوان، والذي كانت جميع المعاقل والحصون حول حلب بيده ويد إخوته، والأمير بدر الدين حسن بمنصب شحنكية حلب، والأمير سابق الدين عثمان[٢]، أما متولي شئون قلعة حلب فكان شاذبخت الخادم[٣]، وقد سارع بنو الداية إلى فرض سيطرتهم على

(١) يقصد بأولاد الداية في هذا المحور هم إخوة مجد الدين أبو بكر وهم الإخوة الثلاثة (شمس الدين علي وبدر الدين حسن وسابق الدين عثمان) الذين تولوا تدبير الأمور بحلب بعد وفاة أخوهم مجد الدين بأمر من نور الدين محمود، حتى كانت وفاته سنة ٥٦٩هـ/١١٧٣م.

(٢) أبو شامة، **الروضتين**، ج٢، ص ٣٣٠.

(٣) **شاذبخت:** هو جمال الدين شاذبخت الخادم الهندي، عتيق نور الدين، والي قلعة حلب والحاكم بها، وهو الذي بنى المدرسة الشاذبختيه، لأصحاب أبي حنيفة بحلب، وقبر بها، وعندما وصله خبر وفاة نور الدين محمود أمر في الحال بضرب الدبادب، والكوسات، والبوقات. وأحضر المقدمين والأعيان بحلب، والفقهاء والأمراء، وأخبرهم أن الملك العادل نور الدين قد كتب إليه، يخبره أنه قد ختن ولده، وولاه العهد بعده، فأظهروا السرور بذلك، وحمدوا الله تعالى، وأخذ منهم البيعة للملك العادل، ثم أخبرهم بعد ذلك بوفاته ولبس ثياب الحداد. ابن العديم، زبدة الحلب، ص ٣٥٩-٣٦٠.

=

المدينة عنوة بعد أن بلغهم نبأ موت نور الدين محمود[١]، ولكنهم اصطدموا بمعارضة قوية من قبل القاضي أبي الفضل بن الخشاب، ولذلك فقد عمل أولاد الداية على التخلص من القاضي، فأسبغوا على الصراع بعدًا طائفيًا "**وكان بدر الدين وأخواه أرادوا أن تقع الفتنة بحلب بين السنة والشيعة، ليستقيم أمرهم**"[٢]، وذلك للتخلص من منافسة القاضي ابن الخشاب، ويتمكنوا من فرض سيطرتهم على حلب والاستبداد بأمورها .

وتنفيذًا لمخطط بدر الدين حسن" **تحزب الناس بحلب السنة مع بني الداية والشيعة مع ابن الخشاب**"[٣]، وكان السبب الرئيس في دعم السنة من أهل حلب لأولاد الداية هو تعصبهم للسنة على الشيعة، ومن بين علماء أهل السنة ممن وقفوا إلى جانب بدر الدين حسن الفقيه قطب الدين بن العجمي والشيخ أبي يعلى بن أمين الدولة وبني قاضي بالس[٤] ، وكان بدر الدين حسن قد فاتحهم بالأمر ليلًا وحظي بتأييدهم فيما سيقدم عليه، في حين مال الشيعة إلى القاضي ابن الخشاب[٥]، وقدموه عليهم "**فوافقوه على حفظ البلد للملك الصالح، وعلى**

=

ابن العديم، **زبدة الحلب**، ص ٣٦٥.

(١) ابن العديم، **زبدة الحلب**، ص ٣٦٠أ؛ بو شامة، **الروضتين**، ج٢، ص ٣٣٠.

(٢) ابن العديم، **زبدة الحلب**، ص ٣٦٣.

(٣) أبو شامة، **الروضتين**، ج٢، ص ٣٣١.

(٤) **بالس:** بلدة بالشام بين حلب والرقة، سميت فيما ذكر ببالس بن الروم بن اليقن بن سام بن نوح، عليه السلام، وكانت على ضفة الفرات الغربية. ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج١، ص ٣٢٨.

(٥) ابن العديم، **زبدة الحلب**، ص ٣٦٣؛ مهند عبد الرضا الكنزاوي وآخرون، **أسرة بني الخشاب**، ص١٠٠.

مخالفة بني الداية"[١]، ولا شك أن دعم وتأييد الشيعة بحلب للقاضي ابن الخشاب كان بسبب تعصب بني الداية ضدهم والذي جلب عليهم كراهية وحقد أهل حلب من الشيعة.

ويبدو أن سبب تعجيل بني الداية في السيطرة على مقاليد الأمور في المدينة ما تبادر إليهم من أنباء بمكاتبة الملك الصالح إسماعيل إلى القاضي أبي الفضل بن الخشاب من دمشق بحفظ البلد لحين وصوله إليها كما يذكر المؤرخ أبو شامة [٢]، مما أثار حفيظة أولاد الداية، فكاتب شمس الدين علي ابن الداية والي حلب الملك الصالح إسماعيل لإقناعه بالمسير إلى حلب من جهة، وراح أخوه بدر الدين حسن يعمل على التخلص من وجود القاضي ابن الخشاب في حلب من جهة أخرى.

وبالفعل نجحت خطة بدر الدين حسن ووقعت الفتنة في حلب بين السنة والشيعة[٣]، وشهدت حلب أجواءً من القلق والاضطراب والتشاحن الداخلي بعدما ابتدأ الأمير بدر الدين حسن بتوجيه رسالة إلى القاضي ابن الخشاب يهدده فيها ويطلب منه المثول أمامه قائلًا فيها:" **إن جماعة عندي قذفوك ، وتحدثوا بأنك** [٤] **تطعن في الدولة وإنك تريد أن تملك حلب**" [٥] ، وكان جواب القاضي ابن

(١) ابن العديم، **زبدة الحلب**، ص ٣٦٣.

(٢) انفرد أبو شامة من بين المؤرخين بذكر رواية مكاتبة الملك الصالح إسماعيل للقاضي أبو الفضل ابن الخشاب

الروضتين، ج٢، ٣٣١ – ٣٣٠.

(٣) ابن العديم، **بغية الطلب**، ج٤، ١٨٢٣؛ مهند عبد الرضا الكنزاوي وآخرون، **أسرة بني الخشاب**، ص١٠٠.

(٤) مهند عبد الرضا الكنزاوي وآخرون، **أسرة بني الخشاب**، ص١٠٠.

(٥) ابن العديم، **زبدة الحلب**، ص ٣٦٣.

الخشاب ومن معه من بني طرسوس رفض طلب بدر الدين بالمثول بين يديه[١] ، وفي ظل هذه الأجواء الملتهبة فقد حدثت في البلد فوضى عارمة ،"**ووقعت الفتنة بين السنة والشيعة بحلب**"[٢]، وهاجت الغوغاء من الشيعة ونهبوا دار قطب الدين بن العجمي ، ودار أبي يعلى بن أمين الدولة[٣] ، فلم تسلم من التخريب والنهب انتقامًا لموقفهم المؤيد لبدر الدين، كما هجم هؤلاء على دور الأغنياء ونهبوها "**وثارت الفتنة بين الطائفتين**"[٤] .

ومما زاد الأوضاع تأزمًا ما قام به بدر الدين حسن من دعوة جنده وأهل البلد من السنة وألبسهم السلاح[٥] ، ونجح في إقناع متولي قلعة حلب شاذبخت الخادم بالوقوف إلى جانبه محرضًا إياه بالقول: " **إن أبا الفضل بن الخشاب يريد أن يملك البلد وقد مال إليه الشيعة وبعض السنة، فتعينني بنقابين وزراقين حتى أقبض عليه وأعتقله إلى أن يحضر الملك الصالح**"[٦]، وفي مقابل ذلك فقد عمل بدر الدين حسن وشاذبخت الخادم على جمع الجند وتمركزهم في محلة(تل فيروز)– وهو موضع الصاغة في أيام المؤرخ ابن العديم– وأمرهم بمهاجمة دار القاضي ابن الخشاب ونهبها، وعمد إلى أخذ الأبواب واستخدامها لسد الطرقات للحيلولة دون وصول أنصار القاضي ابن الخشاب إليهم، بينما راحت قواته تزحف صوب دار القاضي ابن الخشاب عن طريق أسطح البيوت وبعض

(١) ابن العديم، **زبدة الحلب**، ص ٣٦٣؛ أبو شامة، **الروضتين**، ج٢، ص ٣٣١؛ مهند عبد الرضا الكنزاوي وآخرون، **أسرة بني الخشاب**، ص١٠٠-١٠١.

(٢) ابن العديم، **بغية الطلب**، ج٤، ص ١٨٢٣.

(٣) ابن العديم، **بغية الطلب**، ج٤، ١٨٢٣.

(٤) ابن العديم، **زبدة الحلب**، ص ٣٦٣.

(٥) ابن العديم، **زبدة الحلب**، ص ٣٦٣؛ أبو شامة، **الروضتين**، ج٢، ص ٣٣١.

(٦) ابن العديم، **زبدة الحلب**، ص ٣٦٤.

الطرقات المؤمنة ونجحت في الوصول إليها بعد قتال شديد راح ضحيته كثير من أتباع الفريقين، وقام الجند بنهب محتويات الدار ومن ثم إحراقها وإحراق الدور المجاورة لها(١).

أما القاضي ابن الخشاب فقد تمكن من النجاة والهروب بنفسه، ولم يتمكن أي من الفريقين من السيطرة على المدينة، حتى وصول الملك الصالح إسماعيل إليها في المحرم سنة ٥٧٠هـ/ ١١٧٤م، وتسلم مقاليد الحكم فيها، واتخذ من قلعة حلب مقرًا لحكمه، وكان بصحبته أخلص أمراء أبيه عز الدين جرديك والأمير سعد الدين كُمُشْتِكين (٢)، وقد استقر رأي الجميع على ضرورة التخلص من أقطاب الصراع في حلب، أما ابن الخشاب فقد تم قتله، وتفرق أتباعه (٣)، أما أولاد الداية فتم القبض عليهم وسجنهم –كما سيأتي ذكره، وبذلك تم التخلص من أطراف الصراع ليصفو الأمر في حلب للملك الصالح.

---

(١) ابن العديم، **زبدة الحلب**، ص ٣٦٤؛ مهند عبد الرضا الكنزاوي وآخرون، **أسرة بني الخشاب**، ص١٠١.

(٢) **سعد الدين** كُمُشْتِكين: هو أحد أتباع عماد الدين زنكي، ثم صار من أكابر مماليكه، وقد كان عينه ابنه نور الدين محمود متوليًا على قلعة الموصل بعد دخوله إليها سنة (٥٦٦هـ/ ١١٧٠م)، وبعد وفاة نور الدين محمود، هرب إلى حلب، وخدم شمس الدين ابن الداية، وعندما جاء الملك الصالح إلى حلب تولى تدبير أموره، ثم ولاه على حارم بعد أن انتزعها من حسن بن الداية حيث كانت اقطاعة بأمر من نور الدين، إلا أن الأمراء حسدوه ونافسوه وسعوا إلى الوقيعة به لدى الملك فتم القبض عليه الصالح فطلب منه الملك الصالح حارم، فامتنعوا أصحابه من تسليمها، فعلّقه الملك الصالح منكّسا، ودخّن تحت أنفه حتّى مات. سنة٥٧٣هـ/ ١١٧٨م. ابن الأثير، **الكامل**، ج٩، ص ٣٩٧؛ ص ٤٣٠–٤٣١؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج٦، ص ٨١.

(٣) ابن العديم، **زبدة الحلب**، ص ٣٦٤؛ أبو شامة، الروضتين، ج٢، ص ٣٣١؛ مهند عبد الرضا الكنزاوي وآخرون، **أسرة بني الخشاب**، ص١٠١– ١٠٢.

وبذلك فإن الصراع بين أولاد الداية والقاضي الشيعي ابن الخشاب على الرغم من أنه في الظاهر يأخذ طابعًا دينيًا، إلا أنه في حقيقة الأمر كان صراعًا سياسًا محضًا، كانت أحد آلياته توظيف الدين توظيفًا سياسيًا، لخدمة أغراض أصحاب السلطة والنفوذ الذين لم يعبئوا بإثارة الفتنة والشغب بين الطائفتين الأكثر تمثيلًا في المجتمع الحلبي وهم الشيعة والسنة، ورغم ذلك لم يفلح أي من أقطاب السلطة المتصارعين في تحقيق مبتغاه، وحال وصول الملك الصالح إسماعيل إلى حلب دون تحقيق غاياتهم، وأسدل الستار على أطماعهم.

٢- **<u>الصراع بين أولاد الداية وأمراء دمشق</u>:** على إثر وفاة نور الدين محمود سنة ٥٦٩هـ/١١٧٣م دب الخلاف بين نوابه من بني الداية في حلب والأمراء الذين في دمشق حول الاستئثار بالسلطة(١)، فقد خلفه في الحكم ولده الملك الصالح إسماعيل، وكان بدمشق وعمره وقتذاك أحد عشر عامًا، وحلف له الأمراء والمقدمون بدمشق، وأقام بها، وأطاعه الناس بالشام وصلاح الدين (٥٦٧-٥٨٩هـ/ ١١٧١-١١٩٣م) بمصر، وخُطب له على منابرها، وضُربت السكة باسمه، وتولى تدبير دولته الأمير شمس الدين محمد بن عبد الملك المعروف بابن المقدم(٢)، وقد ساعد صغر سن الملك الصالح على قيام التنافس والتنازع بين الأمراء للاستحواذ على السلطة ، وكل واحد منهم يمني النفس أن يكون راعيًا لشئون الملك الصالح(٣)؛ ولكن لم يشك

(١) ابن العديم، **زبدة الحلب**، ج٢، ص ٣٠٣- ٣٠٥، ج٣، ص ١٤؛
Chamberlain, Michael. "***The Crusader Era***", p 218.

(٢) ابن الأثير، **الكامل**، ج٩، ص٣٩٦- ٣٩٧؛ بهاء الدين بن شداد، **النوادر السلطانية**، ص ٩٢؛
Nafziger, George F. and Walton, Mark W. ***Islam at War,*** **p45**

(٣) مهند عبد الرضا الكنزاوي، **أسرة بني الخشاب**، ص ٩٩.

أولاد الداية في أنهم أحق بتربيته من غيرهم[١] "**لم يشكوا في أنهم يكفلون ولده ويربونه ويحبهم لأجل سابقتهم**"[٢]، وكان هؤلاء – لقربهم من نور الدين وعلو منزلتهم على غيرهم – لا يشكون أنهم الذين يقومون بتربية الملك الصالح[٣]، ويكون أمره إليهم وكان أوجههم وأكبرهم شمس الدين علي نائب حلب، وكان بالقلعة معه شاذبخت الخادم[٤]، وقد أدرك شمس الدين نوايا ومخططات أمراء دمشق " **وعرف ما جرى بدمشق من الاجتماع واتفاق ذوى الأطماع فكاتبهم وأمرهم بالوصول إليه في خدمة الملك الصالح**"[٥].

وفي ذلك الوقت انتهز سيف الدين غازي بن قطب الدين مودود بن زنكي صاحب الموصل فرصة وفاة عمه وسار من الموصل إلى البلاد الجزرية[٦]، وملكها، وكان الأمير شمس الدين علي ابن الداية بحلب مع عساكرها، لكنه لم يقدر على العبور لمواجهة سيف الدين غازي لمنعه من أخذ البلاد الجزرية،

(١) سبط بن الجوزي، **مرآة الزمان**، ج٢١، ص ٢٢٤.

(٢) أبو شامة، **الروضتين**، ج٢، ص ٣٢٨.

(٣) البنداري، **سنا البرق الشامي**، ص ٣٧؛ ابن واصل، **مفرج الكروب**، ج٢، ص ٩.

(٤) ابن العديم، **بغية الطلب**، ج٤، ص ١٨٢٣.

(٥) البنداري، **سنا البرق الشامي**، ص ٣٧؛ أبو شامة، **الروضتين**، ج٢، ص ٣٢٨.

(٦) **البلاد الجزرية**: تقع في الشمال بين نهري الفرات ودجلة، وكانت الموصل ضمن الولايات الجزرية ف صدر الإسلام في عصر بني أمية وخلفاء بني العباس، وتنقسم البلاد الجزرية إلى ثلاثة أصقاع هي: ديار ربيعة، وديار مضر، وديار بكر، فأما ديار ربيعة فمن مدنها نصيبين وهي قصبتها وسنجار وجزيرة بني عمر ورأس العين، أما ديار مضر فمنها: حران وهي قصبتها، والرها، والرقة، وسروج، أما ديار بكر فمنها: ميا فارقين وآمد وماردين، وقد فتحت الجزيرة على يد عياض بن غنم بن ربيعة في خلافة عمر بن الخطاب سنة ١٧هـ/ ٦٣٨م. عز الدين بن شداد، **الأعلاق الخطيرة**، ج٣–ق١، ص ٤– ٨.

بسبب إصابته بمرض الفالج[١] (الشلل النصفي) الذي أقعده وشل حركته[٢]، فلما وصل سيف الدين غازي إلى الفرات أرسل شمس الدين ابن الداية إلى دمشق يطلب حضور الملك الصالح ليدفع به سيف الدين، حيث خشي ابن الداية أن يعبر سيف الدين الفرات ويغير على حلب؛ ولذلك أرسل إلى دمشق سعد الدين كُمُشْتِكين الخادم[٣]ومعه العساكر لإحضار الملك الصالح من دمشق إلى حلب، ولكن ابن المقدم ومعه جماعة من الأمراء تمسكوا ببقاء الملك الصالح في دمشق ورفضوا مسيره إلى حلب، خوفًا أن يغلبهم عليه شمس الدين علي، وقالوا:" **إن سيرتموه إليه استولى على تربيته**"[٤] باعتباره أكبر الأمراء النورية [٥].

(١) الفالج مرض يحدث في أحد شقي البدن طولا أي استرخاء أحد الجانبين من الإنسان فيبطل إحساسه وحركته وربما كان في الشقين ويحدث بغتة. وقد فلج فلان إذا ذهب الحس والحركة عن بعض أعضائه. وقد فُلِجَ الرجل فهو مفلوج، لأنه ذهب نِصفُه. الخوارزمي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف، الكاتب البلخي (ت: ٣٨٧هـ/٩٩٧م)، **مفاتيح العلوم**، المحقق: إبراهيم الإبياري، ط٢ (د. م: دار الكتاب العربي، د.ت)، ص ١٨٦؛ الجوهري، **الصحاح تاج اللغة**، ج١، ص ٣٣٥؛ الفيومي الحموي، أبو العباس أحمد بن محمد بن علي (ت: نحو ٧٧٠هـ/ ١٣٦٨م)، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، بيروت: المكتبة العلمية، د.ت)، ج٢، ص ٤٨٠.

(٢) ابن الأثير، **الكامل**، ج٩، ص٣٩٦– ٣٩٧؛ بهاء الدين بن شداد، **النوادر السلطانية**، ص ٩٢.

(٣) خادم أبيه نور الدين محمود، وكان نائبًا بقلعة الموصل لنور الدين محمود فلما مات هرب من سيف الدين غازي إلى حلب ودخل في خدمة أولاد الداية. سبط بن الجوزي، **مرآة الزمان**، ج٢١، ص ٢٢٧؛ ابن العديم، **زبدة الحلب**، ص ٣٦٠، ص ٣٦٢.

(٤) سبط بن الجوزي، **مرآة الزمان**، ج٢١، ص ٢٢٤.

(٥) ابن العديم، **زبدة الحلب**، ص٣٦١؛ ابن الأثير، **الكامل**، ج٩، ص ٣٩٧.

وأرسل ابن المقدم جيشًا تمكن من هزيمة سعد الدين ونهبه، فعاد منهزمًا إلى حلب[١]، كما أن شمس الدين لم يتمكن من الاتصال بالملك الصالح والقيام بخدمته بسبب مرضه والذي أعجزه عن الحركة[٢]، وظل الملك الصالح مقيمًا بدمشق حتى تمام سنة ٥٦٩هـ/١١٧٣م[٣]، ولكن ما لبث أن أدرك الأمراء الذين بدمشق أن المصلحة تقتضي مسير الملك الصالح إلى دمشق؛ لأن ذلك أصلح للدولة من مقامه بدمشق– لاسيما بعد الصراع القائم فيها بين أولاد الداية وابن الخشاب– فاتفقوا على إلى إرساله إلى حلب، فأرسلوا إلى ابن الداية يطلبون منه إرسال سعد الدين كُمُشْتِكين ليأخذ الملك الصالح، فجهزه وسيره، وتم الاتفاق على أن يكون شمس الدين علي ابن الداية أتابكًا للملك الصالح[٤]، كما تم الاتفاق بين شمس الدين وشاذبخت علي منح الإقطاعات بحلب لكبار أمراء دمشق، وأرسلت نسخة من هذا الاتفاق إلى دمشق مع أخيه سابق الدين عثمان ابن الداية[٥]، "**واتفقوا على أن يكون شمس الدين علي أتابكاً للملك الصالح. وحلف شمس الدين وجمال الدين شاذبخت للأمراء على إقطاعهم، ونفذت النسخة مع سابق الدين عثمان إلى دمشق**" [٦]، وفي ذلك يقول ابن الأثير " **وعلى نفسها براقش**

(١) ابن الأثير، **الكامل**، ج٩، ص ٤٠٤٠.

(٢) ابن الأثير، **الكامل**، ج٩، ص ٣٩٧.

(٣) سبط بن الجوزي، **مرآة الزمان**، ج٢١، ص ٢٢٤.

(٤) ابن الأثير، **الكامل**، ج٩، ص٤٠٤؛ ابن العديم، **زبدة الحلب**، ص ٣٦٢؛ أبو شامة، **الروضتين**، ج٢، ص ٣٢٨.

(٥) ابن الأثير، **الكامل**، ج٩، ص٤٠٤؛ ابن العديم، **زبدة الحلب**، ص ٣٦٢.

(٦) ابن العديم، **زبدة الحلب**، ص ٣٦٢.

تجني" [١]؛ لأن أولاد الداية هم الذين جلبوا الملك الصالح بنفسهم والذي بدوره قام بالتخلص منهم وقمع نفوذهم، كما سيأتي ذكره.

وبذلك فكان أولاد الداية يعلمون تمام العلم أن وجود نور الدين محمود في سدة الحكم يعني تسيدهم للمشهد السياسي، فكانوا طوال فترة حكمه ينعمون بالمناصب القيادية والمهام العليا، وعندما توفي نور الدين استدركوا مدى الخطر المهدد لكيانهم ومستقبلهم السياسي؛ لذلك حرصوا على أن تكون لهم الوصاية على الملك الصالح بن نور الدين حتى يكون لهم الحكم الفعلي بوصفهم الأوصياء عليه، ولكن لما استشعروا منافسة أمراء دمشق لهم، والذين سعوا لسحب البساط من تحت أرجلهم اضطربت أمورهم ، وعملوا على الحفاظ على مكتسباتهم السياسية بالقوة وبأي وسيلة ممكنة مهما كلف الأمر، وبذلك دخلوا في سلسلة من الصراعات مع أقطاب السلطة في حلب وفي دمشق على حد سواء، وكان هدفهم الظاهر من الصراع هو الحفاظ على ملك نور الدين وحماية ولده من تغلب أمراء دمشق عليه إلا أن الحقيقة كانت سعيهم للحفاظ على وضعهم ومكانتهم السياسية التي توارثوها منذ عهد نور الدين محمود، فلم يقبلوا أن تنتزع منهم لصالح غيرهم.

رابعًا: نكبة أولاد الداية سنة٥٧٠هـ/١١٧٤م ثم عودهم للمشهد السياسي سنة ٥٧٢هـ/١١٧٦م:

١- **تدبير الأمراء مع الملك الصالح إسماعيل للقبض على أولاد الداية ونكبهم:**

سار الملك الصالح وأمه من دمشق مع سعد الدين كُمُشْتِكين والأمراء الذين أقطاعهم بحلب في سنة ٥٧٠هـ/١١٧٤م، فلما وصلوا بين حماة[٢] وحلب

(١) ابن الأثير، **الكامل**، ج٩، ص ٤٠٤.

(٢) **حماة:** مدينة كبيرة عظيمة كثيرة الخيرات رخيصة الأسعار واسعة الرقعة حفلة الأسواق، يحيط بها سور محكم، وبظاهر السور حاضر كبير جدا، فيه أسواق كثيرة وجامع مفرد =

وصل من جمال الدين شاذبخت ما خوف الأمراء من بني الداية، فكان شمس الدين علي ابن الداية قد عزم على أن الملك الصالح إذا ما قدم إلى حلب أخذه بمفرده، وصعد به إلى القلعة دون أن يمكن أحدًا من الأمراء من الصعود ، ويطردهم ، ويسيطر عليه ، ويستقل بالأمور، فأرسل شاذبخت من أسرّ ذلك إلى الأمراء الذين كانوا بصحبة الملك الصالح، وبذلك فقد كان معهم في الباطن وفي الظاهر كان مع أولاد الداية، فاتفق رأيهم في قنسرين[١] على اعتقال أولاد الداية، وتحالفوا مع سعد الدين كُمُشْتِكين الخادم على ذلك وقدموه عليهم، فلما رحلوا من قنسرين بدأوا بسابق الدين عثمان ابن الداية وكان برفقتهم، وقد سبق أن وجهه أخوه شمس الدين علي إلي

=

مشرف على نهرها المعروف بالعاصي، وهي مدينة قديمة جاهلية، لما افتتح أبو عبيدة حمص وفرغ منها في سنة ١٧ هـ/ ٦٣٨م خلف بها عبادة بن الصامت ومضى نحو حماة فتلقاه أهلها مذعنين فصالحهم على الجزية في رؤوسهم والخراج على أرضهم ومضى إلى شيزر، فكان حالها حال حماة، وبين كل واحد من حماة وحمص والمعرة وسلمية وبين صاحبه يوم، وبينها وبين شيزر نصف يوم، وبينها وبين دمشق خمسة أيام للقوافل، وبينها وبين حلب أربعة أيام. ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج٢، ص ٣٠٠.

(١) **قنسرين**: بكسر أوله، وفتح ثانيه وتشديده، وكان فتح قنسرين على يد أبي عبيدة بن الجراح، رضي الله عنه، في سنة ١٧ هـ/ ٦٣٨م، وكانت حمص وقنسرين شيئا واحدا، قال أحمد بن يحيى: سار أبو عبيدة بن الجراح بعد فراغه من اليرموك إلى حمص فاستقراها ثم أتى قنسرين وعلى مقدمته خالد بن الوليد فقاتله أهل مدينة قنسرين ثم لجأوا إلى حصنهم وطلبوا الصلح فصالحهم وغلب المسلمون على أرضها وقراها، وهي كورة بالشام بينها وبين حلب مرحلة من جهة حمص بقرب العواصم، وبعض يدخل قنسرين في العواصم. ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج٤، ص ٤٠٣– ٤٠٤٠.

دمشق لإقرار الأمور بها،" **وكان قليل الخبرة بعيدًا من التحرز والدهاء**"(١) فقبضوا عليه، وحفظوا الطرق لئلا يصل إلى حلب من يخبر أخويه بذلك، وكتموا الأمر(٢).

وعندما وصلوا إلى باب حلب خرج إليهم بدر الدين حسن ابن الداية فقبضوا عليه، وكان بدر الدين حسن متولي شحنكية حلب قد رتب في تلك الليلة جماعة من الحلبيين- الذين مالوا إلى ابن الخشاب في صراعهم معه على السلطة في حلب- ليصبح ويصلبهم فلما خرج للقاء الملك الصالح ووقعت عينه عليه ترجل ليخدم هو وجماعة من أصحابه ويقدم فروض الولاء والطاعة، فتقدم الأمير جرديك وأخذ بيده وشتمه، وقبض عليه، وتم تعقب وملاحقة أصحابهم وأتباعهم والقبض عليهم، ثم ساروا إلى القلعة وصعدوا إليها وقبضوا على شمس الدين علي ابن الداية من فراشه وحُمل على محفة إلى بين يدي الملك الصالح فاستقبله أحد مماليك نور الدين المعروف بالجفينة فركله برجله ركلة دحاه بها على وجهه فانشقت جبهته،" **ولولا مرض شمس الدين ابن الداية لم يتمكن من ذلك**"(٣)، ثم صُفدوا جميعًا، وقبضوا على جميع الأجناد الذين حلفوا لأولاد الداية وبايعوهم علي ملك حلب وإحكام القبضة عليها دون الملك الصالح، وأُخرجوا جميعا من القلعة حيث تم طردهم من الخدمة(٤)،، وتم حبس أولاد الداية في جب القلعة، "**وضيقوا عليهم في القيود والأغلال وألزموهم بتسليم الحصون وتقديم الرهون إلى أن غصبوا دورهم وخربوا معمورهم**"(٥)، "**ثم إن الصالح ضيق علي**

(١) أبو شامة، **الروضتين**، ج٢، ص ٣٢٨.

(٢) ابن العديم، **زبدة الحلب**، ص ٣٦٤.

(٣) ابن الأثير، **الكامل**، ج٩، ص٤٠٥- ٤٠٦؛ أبو شامة، **الروضتين**، ج٢، ص ٣٢٨.

(٤) أبو شامة، **الروضتين**، ج٢، ص ٣٣١-٣٣٢.

(٥) أبو شامة، **الروضتين**، ج٢، ص ٣٣٣.

بني الداية، وطلب منهم تسليم الحصون التي بأيديهم"[١]، ، وتم سلب إقطاعهم من نوابهم والتي سبق أن ولاهم عليها نور الدين محمود، ولم يبق في أيديهم غير شيزر وقلعة جعبر[٢]، وصار سعد الدين كُمُشْتِكين الخادم هو صاحب الأمر والتدبير[٣]، ويذكر صاحب مرآة الزمان أن الملك الصالح لما دخل إلى حلب "**كان معه إسماعيل الخازن وأبو صالح بن العجمي، فحسّن له ابن العجمي**[٤] **قبض أولاد الداية، فأمر كُمُشْتِكِين ، فقبض عليهم** " [٥].

وبذلك فكان نكب أولاد الداية نتيجة للصراعات بينهم وبين الأمراء لتولي أتابكية الملك الصالح إسماعيل وتدبير الأمور باسمه بسبب صغر سنة، والاستحواذ على السلطة ، باعتبار أن من يتولى الوصاية عليه يكون الحاكم الفعلي والمدبر لأمور البلاد حتي يصل إلى سن البلوغ التي تؤهله للاستقلال بالحكم، ومن هنا وقع الصراع والنزاع بين الأمراء وأولاد الداية على الاستحواذ على السلطة والنفوذ والذي انتهي برجحان كفة الأمراء الذين أحسنوا التدبير والتخطيط واستمالوا كبار الرجال المقربين من أولاد الداية وعلى رأسهم سعد الدين كُمُشْتِكين الذي انقلب على أولاد الداية ، وتآمر مع الأمراء للنيل منهم، وقد كوفئ على ذلك بأن تولى التدبير للملك الصالح في حلب وحل محل أولاد الداية، وأيضًا شاذبخت الخادم متولي قلعة حلب الذي سعى بأولاد الداية لدى أمراء

(١) سبط بن الجوزي، **مرآة الزمان**، ج٢١، ص ٢٢٨.

(٢) أبو شامة، **الروضتين**، ج٢، ص ٣٦٦.

(٣) ابن العديم، **زبدة الحلب**، ص ٣٦٤؛ **تاريخ ابن الوردي**، ج٢، ص ٨٢.

(٤) شهاب الدين أبو صالح العجمي، وزير للملك الصالح. ابن العديم، **زبدة الحلب**، ص ٣٦٥.

(٥) سبط بن الجوزي، **مرآة الزمان**، ج٢١، ص؛ أبو شامة، **الروضتين**، ج٢، ص٣٢٨؛ **تاريخ ابن الوردي**، ج٢، ص ٨٢.

دمشق وأسرّ لهم بما كان يخطط له أولاد الداية من أمر التخلص من أمراء دمشق والاستقلال بأمر الملك الصالح، وبذلك فكان لعنصر الخيانة السياسية أثر كبير في نكب أولاد الداية.

كما يلاحظ أن أولاد الداية قد فقدوا امتيازاتهم السياسية منذ اللحظة التي توفي فيها نور الدين محمود وبويع فيها ابنه الملك الصالح إسماعيل، حيث كان لا يزال فتًى صغيرًا لا يتقن أمور السياسية والحكم؛ لذلك تلاعب به الساسة من الأمراء وكبار رجال الدولة من الناقمين على أولاد الداية والحاسدين لهم.

٢-تداعيات قبض أولاد الداية على الأوضاع السياسية في بلاد الشام:

ورد في مرآة الزمان: "... **وكان قبض بني الداية ...سببًا لفساد أمر الملك الصالح**" (١)، حيث كان لذلك تأثيره وتداعياته على الأوضاع السياسية في بلاد الشام عامة وليس حلب فحسب، فلما بلغ ابن المقدم وغيره من الأمراء الذين بدمشق ما فُعِل بأولاد الداية، خافوا أن ينالوا نفس مصيرهم، وأن يسير كُمُشْتِكين بالملك الصالح إلى دمشق بعد أن تستقر له الأمور بحلب، ويفعل بهم كما فعل بأولاد الداية (٢)، فكاتبوا سيف الدين غازي صاحب الموصل ليعبر الفرات إليهم ليسلموا إليه دمشق(٣). وأما صلاح الدين(٤) فإنه اعتقد أن ولد نور الدين يتولاه

(١) سبط ين الجوزي، ج٢١، ص ٢٢٧.

(٢) ابن العديم، **زبدة الحلب**، ص ٣٦٥؛ **تاريخ ابن الوردي**، ج٢، ص٨٢.

(٣) ابن الأثير، **الكامل**، ج٩، ص٤٠٥- ٤٠٦؛ سبط بن الجوزي، **مرآة الزمان**، ج٢١، ص ٢٢٧.

(٤) كان على مصر نائبًا عن نور الدين منذ سنة ٥٦٧هـ/١١٧١م ، وبعد وفاة سيده نور الدين محمود أصبح الطريق ممهد أمامه لفرض سلطانه على الأراضي الزنكية التابعة لسيدة نور الدين، حيث ضعفت قبضة الزنكيين بعد وفاته بسبب تولي الحكم بعد ابنه البالغ من العمر احد عشر عاما، حيث تظاهر أنه مؤيد لابن سيده نور الدين محمود =

بعده أخوة مجد الدين ابن الداية، والذين كانوا أصدقاءه وخلصاءه، فلما بلغه ما وقع لأولاد الداية غار لهم(١)، واستنكر ما اعتمده الأمراء مع الملك الصالح من القبض على شمس الدين ابن الداية وإخوته، وأنكر عليهم ما قاموا به من مصالحة الفرنج وبذلهم الأموال لهم(٢)، كما غار للملك الصالح وقال: "**أنا أولى بحفظه وصونه**"(٣)، ونقم على أمراء دمشق سيطرتهم على الملك الصالح وعلى أمور الدولة، وكان يظن أن المدبرين لدولته هم بنو الداية، فلما وقف على ما حدث، كتب إلى شمس الدين بن المقدم والأمراء بدمشق ينكر عليهم ما أقدموا عليه، وخاف افتراق الكلمة واستيلاء الفرنج على الشام "... **وكيف اجترأوا على أعضاء الدولة وأركانها بل أهلها وإخوانها وأنه يلزمه أمرهم أمرها، ويضره ضرهم وضرها** "(٤) ، وقال لهم:" **أولاد الداية هم أركان الدولة، والله لئن لم يُطْلَقوا لأسيرن إليكم ، ولأبددن شملكم**"(٥)، فكتب ابن المقدم إليه يردعه ويثنيه عن عزمه ويقبح له هذا المسلك، وقال له: "**لا تجعل هذا سببًا لطمعك في البلاد،**

=

ويسعى إلى تثبيت الأمر له، ولكن الحقيقة كانت غير ذلك إذ ما لبث أن ملك البلاد وأصبح حاكمًا لمصر ومعظم بلاد الشام سنة ٥٧٠هـ/ ١١٧٤م ، ثم ما لبث أن دخل حلب وملكها وأصبح مصر والشام موحدة تحت حكمه سنة ٥٧٩هـ/ ١١٨٣م.

Nafziger, George F. and Walton, Mark W. ***Islam at War,*** **p45;** Chamberlain, Michael. ***"The Crusader Era"***, p 218.

(١) البنداري، **سنا البرق الشامي**، ص ٣٠؛

(٢) ابن واصل، **مفرج الكروب**، ج٢، ص ١٨؛

Lane-Poole, Stanley. ***A History of Egypt in the Middle Ages***. Vol.6, New York: Charles Scribner's son, 1901, p199.

(٣) البنداري، **سنا البرق الشامي**، ص ٣٠.

(٤) البنداري، **سنا البرق الشامي**، ص ٣٠.

(٥) سبط بن الجوزي، **مرآة الزمان**، ج٢١، ص ٢٢٨.

وأن تستولي على بيت أستاذك وإياك هذا"[١]، فأثار ذلك حفيظة صلاح الدين وتجهز لغزو الشام، وجعل ذلك زريعة وحجة لغزو الشام وملكها، فيذكر أبو شامة: **"وكان السلطان قد جعل أولاد الداية علالة له وسببا يقطع به ألسنة من ينكر عليه الخروج إلى الشام وقصد الملك الصالح ويقول أنا إنما أتيت لاستخلاص أولاد الداية وإصلاح شأنهم"**[٢]، وما لبث أن كاتب ابن المقدم والأمراء بدمشق صلاح الدين ليأتي إليهم ويسلموه دمشق، وذلك بعد أن رفض سيف الدين غازي الاستجابة لمطلبهم، وخشي أن تكون مكيدة منهم للقبض عليه، وراسل الملك الصالح وسعد الدين كُمُشْتِكين سيف الدين غازي، وصالحهما على ما أخذه من البلاد الجزرية، عندئذ اشتد قلق وخوف أمراء دمشق من مسير سعد الدين إليهم بعد عقد الصلح مع سيف الدين غازي، وأحسوا بخطورة ذلك، مما دفعهم إلى مكاتبة صلاح الدين بالقدوم إليهم وتسليمه دمشق[٣].

سار صلاح الدين إلى دمشق وملكها سنة ٥٧٠هـ/١١٧٤م [٤]، وكان صلاح الدين لا يظهر إلا طاعة الملك الصالح، وأنه إنما خرج لحفظ بلاده عليه من الفرنج، واستعادة ما أخذه سيف الدين غازي من البلاد الجزرية[٥]، فيذكر صاحب النوادر السلطانية:" **ليكون هو الذي يتولى أمره ويرقب حاله فيقوم ما**

---

(١) سبط بن الجوزي، **مرآة الزمان**، ج٢١، ص ٢٢٨.

(٢) الروضتين، ج٢، ص ٣٥٠

(٣) ابن الأثير، **الكامل**، ج٩، ص٤٠٥– ٤٠٦؛ سبط بن الجوزي، **مرآة الزمان**، ج٢١، ص ٢٢٧؛ ابن واصل، **مفرج الكروب**، ج٢، ص ١١–١٨؛ **تاريخ ابن الوردي**، ج٢، ص٨٢؛ ابن فضل الله العمري، **مسالك الأبصار**، ج٢٧: ١٠٧–١٠٨.

(٤) البنداري، **سنا البرق الشامي**، ص ٣٢؛ ابن واصل، **مفرج الكروب**، ج٢، ص ١١؛
Chamberlain, Michael. "***The Crusader Era***", p 218

(٥) ابن الأثير، **الكامل**، ج٩، ص٤٠٥– ٤٠٦؛ **تاريخ ابن الوردي**، ج٢، ص٨٢؛
Lane-Poole, Stanley. ***A History of Egypt in the Middle Ages***, p 199; Chamberlain, Michael. "***The Crusader Era***", p 218.

أعوج من أمره" [١]، ويؤكد صاحب بغية الطلب أن غاية صلاح الدين الحقيقية من خروجه من مصر إلى الشام :" **أن يكون هو الذي يتولى أمر الملك الصالح وتدبير ملكه وترتيبه**"[٢]؛ وبذلك كان يتظاهر بأنه إنما يريد بذلك تربية الملك الصالح والقيام بأموره[٣] " **فجعل صلاح الدين ذلك حجة لقصد الشام وانتزاعه من الصالح**"[٤]، وبذلك فكان القبض على أولاد الداية زريعة وحجة لصلاح الدين للاستيلاء على الشام، فملك صلاح الدين دمشق سنة ٥٧٠هـ/١١٧٤م، ولما بلغ المدبرون للملك الصالح ما أقدم عليه صلاح الدين من دخول دمشق أيقنوا بضياع البلاد[٥]، فراسلوا سيف الدين غازي صاحب الموصل ابن عم الملك الصالح يستنجدون به، وطلبوا منه أن يعبر الفرات لقتال صلاح الدين ورده عن البلاد ، أما صلاح الدين فقد توجه من دمشق إلى حمص[٦] وفتحها، ثم سار إلى حماة وكان بقلعتها الأمير عز الدين جرديك وهو من المماليك النورية، فامتنع عن التسليم لصلاح الدين، فأرسل إليه صلاح الدين يؤكد له أنه على طاعة الملك الصالح وإنما يريد حفظ بلاده عليه[٧]، فاستحلفه جرديك على ذلك

---

(١) بهاء الدين بن شداد، **النوادر السلطانية**، ص ٩٢.

(٢) ابن العديم، **بغية الطلب**، ج٤، ص ١٨٢٣.

(٣) ابن واصل، **مفرج الكروب**، ج٢، ص ١١.

(٤) **تاريخ ابن الوردي**، ج٢، ص ١٥٥.

(٥) البنداري، **سنا البرق الشامي**، ص ٨١– ٨٢؛ ابن واصل، **مفرج الكروب**، ج٢، ص ٢١.

(٦) **حمص:** بالكسر ثم السكون، والصاد مهملة: بلد مشهور قديم كبير مسور، وفي طرفه القبلي قلعة حصينة على تل عال كبيرة، وهي بين دمشق وحلب في نصف الطريق. ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج٢، ص ٣٠٢.

(٧) ابن الأثير، **الكامل**، ج٩، ص ٤٠٧؛ ابن واصل، **مفرج الكروب**، ج٢، ص ٢٢، ص ٢٩– ٣٠؛

Lane-Poole, Stanley. ***A History of Egypt in the Middle Ages***, p 199.

فحلف له، ثم أرسله صلاح الدين إلى حلب ليعلم الملك الصالح باجتماع الكلمة عليه ويطالب بإطلاق سراح أولاد الداية من السجن، فلما سار جرديك من حماة إلى حلب قبض عليه سعد الدين كُمُشْتِكين واتهمه بالتآمر مع صلاح الدين، وكان لجرديك دور في إلقاء القبض على أولاد الداية من قبل، وعندما تم القبض عليه سجنه سعد الدين كُمُشْتِكين في جب قلعة حلب مع أولاد الداية على كراهة منهم، فكانوا يسمعونه كل قبيح ومكروه من الكلام ولا سيما أخوهم حسن(١).

وكان للقبض على أولاد الداية وجرديك وقع حميد لدى بعض زعماء الشيعة في حلب وعلى رأسهم أبي طي النجار، بسبب تحريضهم لنور الدين محمود ضده بسبب ميوله الشيعية حتى أنه أمر بنفيه من حلب، ولهذا فقد أظهر الفرح والسرور بعد إلقاء القبض على أولاد الداية وجرديك وكتب قصيدة هجاهم فيها قال فيها(٢):

بَنُو فُلَانَة أعوان الضّلالة قد ... قضى بذلهم الأفلاك وَالْقدر
وَأَصْبحُوا بعد عزّ الْملك فِي صفد ... وقعر مظْلمَة يغشى لَهَا الْبَصَر
وجرّد الدَّهْر فِي جرديك عزمته ... والدهر لَا ملْجأ مِنْهُ وَلَا وزر

وبعد القبض على جرديك ملك صلاح الدين قلعة حماة ثم سار إلى حلب وحاصرها، ولكن أهلها قاتلوه فرحل صلاح الدين عنها إلى حماة ثم إلى حمص بعد أن بلغة سير الفرنج إليها، فلما بلغ الفرنج مسير السلطان إليهم رحلوا عنها

(١) ابن الأثير، **الكامل**، ج٩، ص ٤٠٧؛ ابن واصل، **مفرج الكروب**، ج٢، ص ٢٢، ص ٢٩- ٣٠؛ **تاريخ ابن الوردي**، ج٢، ص٨٢- ٨٣؛ ابن فضل الله العمري، **مسالك الأبصار**، ج٢٧: ص ١٠٩- ١١٠.

(٢) أبو شامة، **الروضتين** ج٢، ص ٢٤٧- ٢٤٨.

فدخلها السلطان صلاح الدين، ثم سار منها إلى بعلبك [١] فملكها سنة ٥٧٠هـ/١١٧٤م ثم عاد إلى حمص[٢].

وصلت النجدة من سيف الدين غازي إلى حلب، حيث أرسل أخاه عز الدين مسعود بن مودود يقود جيش كبير إلى حلب، فلما وصل جيش الموصل إلى حلب انضم إليه جيش الحلبيين، وتقدموا إلى حماة وقاموا بمحاصرتها، ثم راسلوا صلاح الدين في الصلح، فسار إليهم صلاح الدين في جماعة من أصحابه للتفاوض في أمر الصلح، فجاءه الأمير سعد الدين كُمُشْتِكين والعدل شهاب الدين أبو صالح العجمي وغيرهما، وتفاوضوا معه في أمر الصلح، فأجابهم إلى ذلك على أن يرد إليهم ما أخذه من الحصون وأن يكون نائبًا عن الملك الصالح في دمشق، وتكون له فيها الخطبة والسكة، وأن يرد عليهم ما أخذه من خزانة الدولة، فلما رأوه مجيبًا لكل ما يُطلب منه، وما هو فيه من قلة عسكره،

(١) **بعلبك:** بالفتح ثم السكون، وفتح اللام، والباء الموحدة، والكاف مشددة: مدينة قديمة فيها أبنية عجيبة وآثار عظيمة وقصور على أساطين الرخام لا نظير لها في الدنيا، بينها وبين دمشق ثلاثة أيام وقيل اثنا عشر فرسخا من جهة الساحل(الفرسخ يساوي ٦ كيلو متر تقريبا أي أن المسافة قرابة ٧٢ كيلو متر)، لما فرغ أبو عبيدة بن الجراح من فتح دمشق في سنة ١٤هـ/ ٦٣٥م، سار إلى حمص فمر ببعلبك فطلب أهلها إليه الأمان والصلح، فصالحهم على أن أمنهم على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم وكتب لهم كتابا أجلهم فيه إلى شهر ربيع الآخر وجمادى الأولى، فمن جلا سار إلى حيث شاء ومن أقام فعليه الجزية، وقد نسب إلى بعلبك جماعة من أهل العلم، منهم: محمد ابن علي بن الحسن بن محمد بن أبي المضاء أبو المضاء البعلبكي . ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص ٤٥٤-٤٥٥.

(٢) ابن الأثير، **الكامل**، ج٩، ص ٤٠٧؛ ابن واصل، **مفرج الكروب**، ج٢، ص ٢٢، ص ٢٩- ٣٠؛ **تاريخ ابن الوردي**، ج٢، ص٨٢- ٨٣؛ ابن فضل الله العمري، **مسالك الأبصار**، ج٢٧: ص ١٠٩- ١١٠؛
Lane-Poole, Stanley. ***A History of Egypt in the Middle Ages***, p200

اشتطوا في مطالبهم وشروطهم التي قُوبِلت بالرفض من صلاح الدين، فأصروا على القتال[١]، فاقتتلوا عند قرون حماة[٢] في سنة ٥٧٠هـ/١١٧٤م فانهزم عسكر الموصل شر هزيمة وتقهقروا إلى حلب وتبعهم السلطان صلاح الدين، وحاصر حلب ، وقطع الخطبة للملك الصالح إسماعيل، وأزال اسمه من السكة في بلاده، ثم جاءت رسل الحلبيين إلى صلاح الدين يطلبون منه الصلح وفك الحصار والرجوع عن حلب، على أن يكون له ما بيده من الشام ويكون للملك الصالح ما بقي بيده منها، فأجابهم إلى ذلك وعقد الصلح بين الطرفين، ورجع صلاح الدين عن حلب، وعاد إلى دمشق وذلك سنة ٥٧٠هـ/١١٧٤م[٣]، ولكن ما أن وصلت أنباء الصلح إلى مسامع سيف الدين غازي فأرسل إلى الحلبيين يعتب عليهم ويحثهم على نكث الصلح[٤]، فما إن علم صلاح الدين بما وقع وأن الحلبيين قد نقضوا العهد معه حتى أمر الجيوش بالاستعداد للقتال، وسار سيف الدين غازي يقود جيش كبير إلى حلب، ووقع القتال بين الفريقين في تل السلطان[٥] وتمكن

(١) البنداري، **سنا البرق الشامي**، ص ٨٦؛ ابن واصل، **مفرج الكروب**، ج٢، ص٣١؛ ابن فضل الله العمري، **مسالك الأبصار**، ج٢٧: ١٠٩-١١٠؛ Lane-Poole, Stanley. ***A History of Egypt in the Middle Ages***, p200

(٢) **قرون حماة:** عبارة منطقة جبلية تشرف على مدينة حماه، وهي مكونة من قلتين متقابلتين. ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج٢، ص ٣٠٠.

(٣) البنداري، **سنا البرق الشامي**، ص ٨٧؛ ابن واصل، **مفرج الكروب**، ج٢، ص٣٢- ٣٣؛ ابن فضل الله العمري، **مسالك الأبصار**، ج٢٧: ١١٠؛ Lane-Poole, Stanley. ***A History of Egypt in the Middle Ages***, p200

(٤) البنداري، **سنا البرق الشامي**، ص ٩٠-٩١؛ ابن واصل، **مفرج الكروب**، ج٢، ص٣٦.

(٥) **تل السلطان:** موضع بينه وبين حلب مرحلة نحو دمشق، وفيه خان ومنزل للقوافل، وهو المعروف بالفنيدق، كانت به وقعة بين صلاح الدين يوسف ابن أيوب وسيف الدين غازي بن مودود بن زنكي صاحب الموصل سنة ٥٧١هـ/ ١١٧٥م. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص ٤٢.

صلاح الدين من هزيمة جيش المواصلة والحلبيين هزيمة منكرة واستولى على ما في معسكرهم سنة ٥٧١هـ/١١٧٥(١)، وبعد الهزيمة توجه صلاح الدين إلى **بزاغة** فملكها، ثم فتح **منبج و أعزاز**(٢)، ثم رحل إلى حلب وقام بمحاصرتها واستمر على حصارها حتى انقضت سنة ٥٧١هـ/١١٧٥م ، ثم تراسل الأمراء في قلعة حلب مع السلطان صلاح الدين في أمر الصلح فأجابهم ثم عاد إلى دمشق ومنها إلى مصر وذلك سنة ٥٧٢هـ/١١٧٦م(٣).

٣- **شفاعة صلاح الدين في أولاد الداية وعودهم إلى المشهد السياسي سنة ٥٧٢هـ/١١٧٦م:**

تم عقد الصلح بين صلاح الدين وبين الملك الصالح شريطة أن تكون حماة وما فتحه إلى مصر له، وأن تكون حلب وأعمالها للملك الصالح، وكان من شروط الصلح أيضًا "... **وأن يطلق الصالح أولاد الداية**"(٤)، فلم يتنازل صلاح الدين عن إطلاق سراح شمس الدين ابن الداية وأخويه سابق الدين، وبدر الدين، وقال:" **لا بد منهم، فلهم علينا حقوق أكيدة، فقالوا نعم**"(٥)، فأطلقهم الملك

(١) البنداري، **سنا البرق الشامي**، ص ٩٤-٩٧؛ ابن واصل، **مفرج الكروب**، ج٢، ص٣٩.

(٢) البنداري، **سنا البرق الشامي**، ص ٩٨- ٩٩؛ ابن واصل، **مفرج الكروب**، ج٢، ص ٤٢- ٤٥.

(٣) ابن واصل، **مفرج الكروب**، ج٢، ص ٤٦، ص٤٩؛ **تاريخ ابن الوردي**، ج٢، ص٨٣ – ٨٤؛

Lane-Poole, Stanley. ***A History of Egypt in the Middle Ages***, p 200

(٤) سبط بن الجوزي، **مرآة الزمان**، ج٢١، ص ٢٣٨.

(٥) سبط بن الجوزي، **مرآة الزمان**، ج٢١، ص ٢٣١.

الصالح بعد شفاعة صلاح الدين فيهم[١]، فسار أولاد الداية إلى الملك الناصر صلاح الدين، ودخلوا في خدمته، فأكرمهم وأنعم عليهم [٢].

وكان أولاد الداية لما قُبض عليهم سنة ٥٧٠هـ/١١٧٤م تمت مصادرة جميع ما كان بيدهم من أعمال وإقطاعات، ولم يبق بأيديهم مما كان نور الدين أقطعهم غير قلعة جعبر، وشيزر، فأقر صلاح الدين شمس الدين على جعبر، وأقر سابق الدين عثمان على شيزر، ولم تزل قلعة جعبر بيد شمس الدين إلى أن توفي سنة٥٧٣هـ/١١٧٧م، فولى عليها ابنه إلياس بن علي حتى وفاته سنة ٥٨٧هـ/١١٩١م فطلبها الملك الظاهر غازي من والده السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب فمنحها له[٣]. كما أقر صلاح الدين سابق الدين عثمان على إقطاعه شيزر ثم زاده أبا قبيس[٤] ضمن أقطاعة [٥]، كما دخل بدر الدين في خدمة السلطان صلاح الدين وكان مسموع الكلمة لديه[٦]، ويبدو أنه توفي بعد سنة ٥٧٩هـ/ ١١٨٣م حيث يذكر أبو شامة أنه حضر مع صلاح الدين فتح حلب وحارم سنة ٥٧٩هـ/ ١١٨٣م[٧] ثم ينقطع ذكره بعد ذلك.

---

(١) عز الدين بن شداد، **الأعلاق الخطيرة**، ج٣-ق١، ص ١١٧.

(٢) ابن العديم، **زبدة الحلب**، ص ٣٧٣؛ الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج١٠، ص ١٤٦.

(٣) الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج٩، ص ٢١٥.

(٤) **أبو قبيس**: حصن معروف مقابل شيزر. ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج١، ص ٨١

(٥) ابن واصل، **مفرج الكروب**، ج٣، ص ٤٤؛ أبو الفداء، **المختصر**، ج٣، ص ١٥٢؛ **تاريخ ابن الوردي**، ج٢، ص ١٥٥.

(٦) المنصور ابن المظفر، أبو المعالي ناصر الدين محمد بن عمر المظفر بن شاهنشاه الأيوبي (ت: ٦١٧هـ/ ١٢٢٠م)، **مضمار الحقائق وسر الخلائق**، المحقق: الدكتور حسن حبشي (القاهرة: عالم الكتب، د.ت)، ص١٤٥- ١٤٦.

(٧) **الروضتين**، ج٣، ص ١٧٣.

وبذلك فلم يبق من أولاد الداية سوى الأمير سابق الدين عثمان صاحب شيزر، الذي زادت حظوته لدى صلاح الدين وصار من كبار أمرائه المقدمين، وكان له دوره في جهاد الفرنج والاستجابة لدعوة السلطان صلاح الدين في جهادهم في الشام ففي سنة ٥٨٤هـ/ ١١٨٨م جعله صلاح الدين على جبلة[١] لحفظها بعد أن فتحها[٢]، فلم يكن يتأخر عن نداء الجهاد والدفع عن ديار الإسلام[٣]، ففي سنة ٥٨٦هـ/ ١١٩٠م سار سابق الدين عثمان وغيره من أمراء البلاد الإسلامية الخاضعة لسلطان صلاح الدين، ومعه العسكر من شيزر إلى الحدود المتاخمة مع الفرنج لحمايتها والتصدي لغزو الفرنج، وذلك عندما وصلت الأنباء بتحرك الفرنج لغزو البلاد الإسلامية[٤]، وفي سنة ٥٨٧هـ/١١٩٩١م سار سابق الدين عثمان من شيزر على رأس جيش إلى عكا للانضمام إلى جيش المسلمين في حروبه مع الفرنج أثناء حصارهم عكا، وذلك استجابة لدعوة

(١) **جبلة:** قلعة مشهورة بساحل الشام من أعمال حلب قرب اللاذقية، فلم تزل جبلة بأيدي المسلمين على أحسن حال حتى قوي الروم وافتتحوا ثغور المسلمين، فكان فيما أخذوا جبلة في سنة ٣٥٧/٩٦٧م بعد وفاة سيف الدولة بسنة، ولم تزل بأيديهم إلى سنة٤٧٣هـ/ ١٠٨٠م، حيث تمكن القاضي أبا محمد عبد الله بن منصور ابن الحسين التنوخي المعروف بابن ضليعة قاضي جبلة من هزيمة الفرنج فأخرجهم منها، وبقيت بأيدي المسلمين ثم ملكها الفرنج في سنة ٥٥٢هـ/ ١١٥٧م إلى أن استردها الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب في سنة ٥٨٤/ ١١٨٨م، تسلمها بالأمان. ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج٢، ص ١٠٥

(٢)ابن الأثير، **الكامل**، ج١٠، ص ٤٩؛ أبو شامة، **الروضتين**، ج٤، ص ٢٠؛ ابن واصل، **مفرج الكروب**، ج٢، ص ٢٥٩؛ ابن فضل الله العمري، **مسالك الأبصار**، ج٢٧: ١٤٤.

(٣) أبو شامة، **الروضتين**، ج٤، ص ٢٦١.

(٤) أبو شامة، **الروضتين**، ج٤، ص ١٣٨.

السلطان صلاح الدين[١]، وفي نفس السنة أبدى سابق الدين مهارة فائقة في قتال الفرنج والتصدي للحملة الصليبية الثالثة(٥٨٥- ٥٨٧هـ/ ١١٨٩- ١١٩٢م) ، فكانت له وقائع مع الفرنج ، فقتل وأسر منهم خلقًا كثيرًا[٢]، فقد " **وقعت بين الفرنج وبين الأمير سابق الدين صاحب شيزر وقعة عظيمة، انكسرت فيها الفرنج كسرة شنيعة، وتسلقوا في الجبال، وتركوا خيولهم ، فغنمها المسلمون، وأسر وقتل منهم خلق كثير**" [٣]، وفي سنة ٥٨٨هـ/١١٩٢م عندما عقدت الهدنة مع الفرنج كان سابق الدين من جملة الأمراء المقدمين الذين شهدوا وحلفوا على عقد الهدنة مع بقية أمراء صلاح الدين على البلاد الإسلامية، وتم عقد الهدنة مع الفرنج بعد أن شهدوا عليها[٤].

وبعد وفاة صلاح الدين سنة ٥٨٩هـ/ ١١٩٣م وتولي الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين (٥٨٩- ٥٩٤هـ/١١٩٣-١١٩٧م) ظل إقطاع شيزر وأبي قبيس بيد سابق الدين عثمان ابن الداية [٥]، وفي سنة ٥٩٢هـ /١١٩٥م ذهب سابق الدين عثمان ابن الداية رسولاً مع الملك الزاهر مجير الدين ابن السلطان صلاح الدين عن الملك الظاهر[٦] إلى أخيه الملك العزيز بمصر ومعه

---

(١) أبو شامة، **الروضتين**، ج٤، ص ٢٦١.

(٢) أبو شامة، **الروضتين**، ج٤، ص ٢٨٨.

(٣) أبو شامة، **الروضتين**، ج٤، ص ٢٨٨؛ الدواداري (أبو بكر بن عبد الله بن أيبك)، (مولده ووفاته غير معروف)**: كنز الدرر وجامع الغرر**، تحقيق: د سعيد عبد الفتاح عاشور (القاهرة: عيسى البابي الحلبي، ١٩٧٢ م)، ج٧، ص ١٠٩.

(٤) ابن واصل، **مفرج الكروب**، ج٢، ص ٤٠٤؛ ابن فضل الله العمري، **مسالك الأبصار**، ج٢٧: ١٥٨.

(٥) ابن فضل الله العمري، **مسالك الأبصار**، ج٢٧: ١٦٧-١٦٨.

(٦) هو الملك الزاهر بو سليمان داود الملقب الزاهر مجير الدين ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، رحمهم الله تعالى، كان صاحب قلعة البيرة التي على شاطئ الفرات، =

القاضي بهاء الدين بن شداد، فلما أدوا الرسالة عادوا إلى دمشق[١]، وكانت وفاته سنة ٥٩٢هـ/١١٩٥م[٢] "**وهو آخر من كان بقي من أولاد الداية المعروفين بغلمان نور الدين محمود**" [٣].

ثم ملك شيزر بعده ابنه عز الدين مسعود بن سابق الدين عثمان حتى مات في سنة ٦٢١هـ/ ١٢٢٤م، ووليها بعده ولده شهاب الدين الأعرج[٤] وصارت لابنه شهاب الدين يوسف إلى سنة ٦٣٠هـ/١٢٣٢م، فسار إليها الملك العزيز محمد بن الظاهر صاحب حلب بأمر من الملك الكامل (٦١٥– ٦٣٥هـ/ ١٢١٨– ١٢٣٧م) وحاصرها، فسلمها إليه شهاب الدين ودخل في خدمته [٥].

=

وكان يحب العلماء وأهل الأدب، ويقصدونه من البلاد، ولما ولد بمدينة القاهرة كان السلطان صلاح الدين بالشام، وكان الثاني عشر من أولاده وكانت ولادته لسبع بقين من ذي الحجة، وقيل ذي القعدة، سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة، وهو شقيق الملك الظاهر وتوفي في البيرة في ليلة التاسع من صفر سنة اثنتين وثلاثين وستمائة. **ابن خلكان**، وفيات **الأعيان** ج٢، ص ٢٥٧– ٢٥٨.

(١) ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج٢، ص ٢٥٧.

(٢) عماد الدين الأصفهاني، أبو حامد محمد بن محمد (ت: ٥٩٧ هـ/١٢٠٠م)، **البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان**، المحقق: عمر عبد السلام تدمري (بيروت – لبنان: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ٢٠٠٢ م)، ص ٤٦٣.

(٣) ابن نظيف الحموي، **أبو** الفضائل محمد بن علي (ت:٦٣١هـ/١٢٣٤م)، **التاريخ المنصوري = تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان**، المحقق: دكتور أبو العيد دودو، مراجعة: عدنان درويش (دمشق: مطبعة الحجاز، ١٩٨١م)، ص ١٠٨.

(٤) ابن نظيف الحموي، **التاريخ المنصوري**، ص ١٠٨؛ أبو الفداء، **المختصر**، ج٣، ص ١٥٢.

(٥) أبو الفداء، **المختصر**، ج٣، ص ١٥٢؛ **تاريخ ابن الوردي**، ج٢، ص ١٥٥؛ ابن فضل الله العمري، **مسالك الأبصار**، ج٢٧: ٢٩٣.

وبذلك ينتهي ذكر اسم أولاد الداية ونسلهم من التاريخ، وتطوى صفحة من صفحات التاريخ الإسلامي التي شهدت بزوغ نجم أولاد الداية وما سطروه من أعمال في خدمة الدولة النورية في حلب، وما عانوا منه من العزل السياسي، والاعتقال والمصادرة دون أن يُحفظ لهم جميلهم وفضلهم على الدولة، ثم عودهم للمشهد السياسي مرة أخرى بفضل شفاعة صلاح الدين فيهم، ولكن على نطاق أضيق مما كانوا عليه حيث اقتصر نفوذهم على جعبر وشيزر التي بقيتا ضمن إقطاعهم، ثم ما لبث أن سيطر عليهما الأمراء من بني أيوب، وأسدل الستار على أولاد الداية.

خامسًا- مكانة أولاد الداية من خلال أقوال الشعراء:

نال أولاد الداية مكانتهم وحظوتهم بفضل مهنة والدتهم التي لم تزدهم سوى سموًا ورفعة، فبلغوا أرقى المناصب في دولة نور الدين محمود، وصاروا من أكابر أمرائه وحاذوا ثقته ومحبته، وصاروا عماد الدولة وأركانها لا يأخذ أمَرًا ولا تدبيرًا إلا بمشورتهم(١)، ومما يدل على علو مكانتهم وزعامتهم ما يذكره البنداري وأبو شامة: " **هم أعيان الدولة وأعضادها وأبدال أرضها وأوتادها وأمجادها وأجوادها**"(٢).

(١) سبط بن الجوزي، **مرآة الزمان**، ج٢١، ص ١٥٧؛ ابن العديم، **بغية الطلب**، ج١٠، ص ٤٣٦٨؛ **الوافي بالوفيات**، ج١٠، ص ١٤٥-١٤٦.

(٢) أبو إبراهيم الفتح بن علي بن محمد الأصفهاني (ت ٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م)، **سنا البرق الشامي**، تحقيق فتحية النبراوي (مصر: مكتبة الخانجي، ١٩٧٩م)، ص ٣٧؛ الروضتين، ج٢، ص ٣٢٨

وفيهم يقول العماد الأصفهاني في قصيدته [١]:

أَنْـــتُم لمحمـــود كـــآل مُحَمَّـــد ... متصـادفي الْأَفْعَـال والأسـماء
يَتْلُـــو أَبَـــا بكـــر عَلَـــى حَسَـــنَاته ... عمرُ الممدَّح فِـي سنا وسناء
ويليـــه عُثْمَـــان المرجـــى للعُـــلا ... وعلـيُّ المـأمول فِـي الـلأواء
وَيقبـــل الْحســـن الممجَّـــد مجـــدهم ... فهـمُ ذُوو الْإِحْسَـان والنعمـاء
فرعـت بمجـد الـدّين إِخْوَتـه الـذرى ... دون الورى فِي الْمجد والعلياء
مـــن سَـــابق كرمـــاً وشـــمس ســـيادة ... شـــرفاً وَبـــدر دُجنـــة وبهـــاء
سُرُج الْهدى سُحُب النَّدى شُهُب النُّهى ... أسدُ الحروب ضراغم الهيجاء

يقصد بذلك سابق الدين عثمان وشمس الدين عليا وبدر الدين حسنًا وبهاء الدين عمر ومجد الدين أخوهم الأكبر فهم خمسة إخوة [٢]، وقد ارتفع شأن مجد الدين في الدولة النورية في حلب حتى تغني الشعراء بمدحه وكريم أخلاقه وسمت صفاته، ومما قاله **ابن القيسراني** من بعض ما قاله فيه من المدح[٣]:

دعوا مَا مضى من قبل هَذَا لما بعد ... فأقسم لَوْلَا الْمجد مَا عرف الْمجد
كـــريم ســـمت أَوْصَـــافه لعفاتـــه ... قَـرَائِن كـل اثْنَـيْنِ بَينهمَـا عقـد
محيـــاه والبشـــرى ويمنـــاه والنـــدى ... ونجـــواه وَالـــدُّنْيَا وتقـــواه والزهـــد
فَفِـي قربـه الزلفـى وَفِـي وعده الْغنـى ... وَفِي نيله الْحسنى وَفِي رَأْيه الرشد
إِذا وَجـه نـور الـدّين قَابـل مجـده ... فَقل فِي كَمَال الْبَدْر قابلـه السعد

(١) أبـو عبـد الله محمـد بـن صـفي الـدين (ت:٥٩٧هـ/ ١٢٠١م)، **ديـوان عمـاد الـدين الأصفهاني**، ص ٥، المصدر: الشاملة الذهبية.

(٢) أبو شامة، **الروضتين**، ج٢، ص ٤٥.

(٣) أبـو عبـد الله شـرف الـدين حمـد بـن نصـر بـن صـغير بـن داغـر المخزومـي الخالدي(ت:٥٤٨هـ/١١٥٣م)، **ديوان ابن القيسراني**، ص٢٠، المصدر: الشاملة الذهبية.

وخير دليل على ما كان يتمتع به مجد الدين من مكانه وتدبير لأمور الدولة النورية، ما قال فيه أبو الحسن بن زيد الشيزري[١] يعظه[٢]:

فـلاَ تَجُـورُن مَجـد الـدّين مُقْتَـدِرا ... فَـالجُور أَقْـبَح مـا يَسْتَحْسِـن الملـك
وَانْظُـر لِنَفسِـك واعْمَـل للمَعـاد ... ولا يُطْغِيك إدْراك مـا فـي طَيّـهِ الـدَّرك
وخَفْ إصَابة سَهْم مَنْ سِهَام يَد ... تُمَـدُ فـي الليـل والظَلْمَـاءِ تحتبـك
فطَـائِر الجَـو لـولا الحُـب أَوْقَعَـه ... فـي الحُـبَ تَلقطـه مـاَ صـاده الشـرك
فـان أبَيتَ سِوىَ مـا قـد أتَيتَ بـه ... بَغْيَـا ولا بـد لِلأصـوَاتِ تَشْـتَبِك

ومن خلال القراءة التاريخية لتلك الأشعار يتبين أنها كانت بمثابة دعاية سياسية وترويج سياسي وإعلامي لأولاد الداية من خلال الشعراء الذين كانوا بمثابة المنبر الإعلامي والمذياع الدعائي آنذاك، حيث إن هؤلاء الشعراء الذين تغنوا بأمجاد أولاد الداية كانوا من كبار الشعراء المعاصرين لتلك الفترة ومنهم العماد الأصفهاني وابن القيسراني، فقالوا شعرهم من واقع عاينوه بأنفسهم، كما أن تغني الشعراء بهم وبأمجادهم يدل على مكانتهم وقوتهم وتمثيلهم السياسي القوي وبالأخص في دولة نور الدين محمود، ويدل من ناحية أخرى على تشجيعهم للشعر والشعراء والأدباء وتقريبهم لهم.

صفوة القول، فقد امتلك أولاد الداية المقومات والإمكانيات التي تؤهلهم لتولي المناصب القيادية، فقد كانوا من أهل الثقة باعتبارهم إخوة نور الدين محمود من الرضاعة، وكانوا في ذات الوقت من أهل الكفاءة والخبرة، فلم يكن

(١) أبو الحسن بن زيد الشيزري: شاعر مجيد، من أهل شيزر، ترجم له ابن العديم في "**بغية الطلب**" قال: كان في أيام نور الدين محمود بن زنكي، ووعظ أبا بكر بن الداية نائبه بحلب بأبيات. ابن العديم، **بغية الطلب**، ج١٠، ص ٤٣٩٢.

(٢) ابن العديم، **بغية الطلب**، ج١٠، ص ٤٣٩٣.

تـوليتهم المناصـب والمهـام مجاملـة لهـم دون النظـر لقـدراتهم وكفـاءاتهم، وإنمـا المعيار ليس من هو الأقرب، بل من هو الأصلح، وإذا اجتمع الأقرب والأصلح كان أولى من غيره. وفي ذات الوقت لم يستغل أولاد الداية الثقة التي وضعها فيهم نور الدين محمود، وإنما حافظوا عليها وعملوا بها وحفظوا له دولته، فلم يحدث منهم أي تجاوز مع نور الدين، كما أن نور الدين نفسه وبالرغم مما منحه إيـاهم مـن صـلاحيات وامتيـازات فـإن ذلـك لـم يكـن علـى حسـاب صـلاحياته وامتيازاتـه، وخيـر برهـان علـى ذلـك مـا أورده ابـن كثيـر عـن نـور الـدين محمـود فيقول:" **قد كان مهيبا وقورا شديد الهيبة في قلوب الأمراء، لا يتجاسر أحد أن يجلس بين يديه إلا بإذنه، ولم يكن أحد من الأمراء يجلس بلا إذن سوى الأمير نجم الدين أيوب، وأما أسد الدين شيركوه ومجد الدين ابن الداية نائب حلب، وغيرهما من الأكابر فكانوا يقفون بين يديه**"(١).

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٢، ص ٣٤٧.

الخاتمة:

خرجت الدراسة بعدة نتائج تمثلت في:

-تعد مهنة الداية أو المرضعة من المهن القديمة التي كان لها أصولها في التاريخ القديم، كما عرفها العرب في الجاهلية والإسلام، وكان أشراف مكة يرسلون أطفالهم إلى المرضعات في البادية حيث يتوفر الجو النقي والهواء العليل، فيكون أفصح للسانه، وأجلد لجسمه، كما تعد الداية أو المرضعة بمنزلة الأم للرضيع ويكون أولادها إخوة له ويكون زوجها أباه، وتكتسب الشهرة والصيت إذا كان الرضيع هو ولي العهد، فكانت الرضاعة بمنزلة الإخوة بين المتراضعين يفتخر ويتعزز أحدهما بالآخر خاصة إذا ما كان من السادة والأشراف.

- كان لقيام الداية فاطمة بنت سودكين بإرضاع نور الدين محمود دور كبير في رقي وبلوغ أولادها إلى المناصب في دولته بعد توليه الحكم في بلاد الشام، حيث صاروا إخوة له من الرضاعة وعرفوا بأولاد الداية. واعتمد نور الدين على إخوته من أولاد الداية اعتماداً كبيرًا في تدبير أمور دولته وأوكل إليهم المهام والمناصب العليا التي أثبتوا فيها الكفاءة والجدارة والمقدرة السياسية، فاستطاع أن يغير ميزان القوى في منطقة الشرق الأوسط بفضل اعتماده على الرجال الأقوياء من أولاد الداية وغيرهم من الأمراء المتقدمين.
- ظهر أولاد الداية على مسرح الأحداث السياسية لأول مرة سنة ٥٤١هـ/ ١١٤٦م بالتزامن مع ارتقاء نور الدين محمود سدة الحكم في حلب خلفًا لوالده عماد الدين زنكي، حيث كانوا من أبرز الأمراء المؤيدين والداعمين له والذين عملوا على تثبيت حكمه واستقرار الأمر له.
- كان لأولاد الداية عديد من الإسهامات في خدمة الدولة النورية وبالأخص أخاهم مجد الدين ابن الداية الذي عهد إليه نور الدين محمود بولاية حلب وأعمالها وجعله مقدمًا للعساكر فقاد الجيوش لجهاد الفرنج وفتح القلاع

والحصون. ولم يقتصر الأمر على مجد الدين فقط، بل نالت الإنعامات إخوته شمس الدين وبدر الدين وسابق الدين فقد نور الدين عهد إليهم بالمناصب الحكومية والإدارية في حلب فكانوا نوابه فيها وفي أعمالها، كما عهد إليهم بالوظائف العسكرية، فمنهم من كان مقدمًا للعسكر، وتولى قيادة الجيوش، ومنهم من تولى شحنكية حلب، ومنهم من تولى على قلعة حلب، وبذلك فقد نجحوا فيما أسند إليهم من مهام ومناصب قيادية وإدارية.

- كان لتقريب نور الدين محمود لأولاد الداية وإسناد المهام القيادية لهم أثره في تغير بعض الأمراء عليه، ولكن نور الدين محمود تمكن من إعادة التوازن وضبط الأمور.
- كان للتكوين الفكري لأولاد الداية والمتمثل في اعتناقهم المذهب السني الحنفي أثره على توجيه السياسة الدينية للدولة النورية، فكان لهم دورهم المحمود في نصح نور الدين محمود وتوجيهه لجعل المذهب السني هو المذهب الرئيس في حلب التي كان يغلب عليها مذهب الشيعة الإمامية، كما عملوا على إنشاء المراكز الدينية لنشر المذهب السني الحنفي مثل المدارس ودور الحديث والخانقاوات.
- كان لأولاد الداية دور كبير في توجيه السياسة الدينية في حلب والذي ظهر جليًا في تعصبهم الشديد لمذهب أهل السنة وتحريض نور الدين محمود ضد الشيعة في حلب حتى قام بنفي زعمائهم وإسقاط رسومهم. فكان لهم اسهاماتهم الدينية والفكرية في حلب من خلال إنشاء المدارس الحنفية، ودار الحديث، والخوانق، التي عمرت بالعلماء والدارسين، وجعلوا الوقف للإنفاق عليها، والتي كان لها تأثيرها في الترويج للمذهب السني وتقويض مذهب الشيعة الإمامية الذي كانت له الغلبة في حلب آنذاك.
- تبين من خلال الدراسة أن مجد الدين ابن الداية قد جمع في قبضته عدد من المناصب الإدارية في حلب، حيث كان واليًا على حلب وأعمالها، ومتولي

قلعة حلب، ومقدم للعساكر، كما كان المفوض في تدبير جميع الأمور بحلب وصاحب الأمر والنهي ، وبذلك فإلى جانب ما تمتع به نور الدين من مهارة سياسية وقدرات إدارية فقد تمتع أيضًا بالكفاءة العسكرية في قيادة الجيوش، والمهارة الحربية، والقدرة القتالية، ووضع الخطط الاستراتيجية للمعارك الحربية وتحقيق الفوز فيها، وبذلك فإن المناصب والمهام التي أسندت إلى مجد الدين لم تكن لقرابته من نور الدين فقط وإنما امتلاكه للمقومات والكفاءة والقدرة والمهارة المؤهلة لذلك، ولو كانت القرابة فقط المقياس لتولى تلك المناصب باعتباره من أهل الثقة لما كتب له كل هذا النجاح والتميز إذا ما كان يفتقد للكفاءة والخبرة.

- كما تبين أن أولاد الداية بعد وفاة أخوهم مجد الدين قد تمتعوا بالقدرات والكفاءات التي جعلت نور الدين يعهد إليهم بالمهام والمناصب التي كان ينعم بها مجد الدين في دولته، كما أقطعهم ما كان تحت يده من الإقطاعات، وعهد إليهم بأمور حلب السياسية والإدارية والعسكرية، وظل أولاد الداية يقومون بدورهم في خدمة الدولة النورية وتدبير أمور حلب وأعمالها حتى وفاة نور الدين محمود سنة ٥٦٩هـ/١١٧٣م.
- خاض أولاد الداية غمار صراع طائفي ذو أبعاد سياسية فكانوا سببًا في تأجيج نيران الفتنة بين السنة الشيعة في حلب لخدمة أغراضهم السياسية والاستيلاء على السلطة في حلب بعد وفاة نور الدين محمود، وتولي ابنه الملك الصالح وسيطرة الأمراء في دمشق عليه فأدركوا أن ذلك يهدد بقائهم واستمرارهم في تولي الزعامة السياسية في حلب، فكان ما أقدموا عليه هو أحد الحلول التي ارتأوها لضمان استمرارهم في تصدر المشهد السياسي؛ ولكن جاءت الرياح بما لا تشتهي السفن، فكُتِب لمخططهم الفشل وحلت بهم النكبة.
- كما أكدت الدراسة على أن الصراع بين أولاد الداية والقاضي الشيعي ابن الخشاب على الرغم من أنه في الظاهر يأخذ طابعًا دينيًا، إلا أنه في حقيقة

الأمر كان صراعًا سياسًا محضًا من أجل البقاء، كانت أحد آلياته توظيف الدين توظيفًا سياسيًا، لخدمة أغراض أصحاب السلطة والنفوذ الذين لم يعبئوا بإثارة الفتنة والشغب بين الطائفتين الأكثر تمثيلًا في المجتمع الحلبي وهم الشيعة والسنة، ورغم ذلك لم يفلح أي من أقطاب السلطة المتصارعين في تحقيق مبتغاه، وحال وصول الملك الصالح إسماعيل إلى حلب دون تحقيق غاياتهم، وأسدل الستار على أطماعهم.

- تبين من خلال الدراسة أن تاريخ أولاد الداية يمكن تقسيمة إلى مرحلتين المرحلة الأولى هي مرحلة القوة والنفوذ في عهد نور الدين محمود أما المرحلة الثانية فتبدأ بعد وفاة نور الدين محمود وتولي ابنه الملك الصالح إسماعيل هي مرحلة الصراع مع أقطاب السلطة في حلب والشام من أجل البقاء في المشهد السياسي، والحفاظ على المكتسبات السياسية. فعُدت فترة حكم نور الدين عهدهم الذهبي وانتعاشهم السياسي وذروة مجدهم، أما ما تلا وفاته فكان ابتداء لأزمة حلت بهم ونكبة نالت من سلطانهم.
- أكدت الدراسة على أن أولاد الداية تمتعوا بالإمكانيات والقدرات التي أهلتهم لتولي المناصب القيادية، وكان لديهم الطموح السياسي والتطلعات لإثبات وجودهم وتوسيع دائرة نفوذهم وسلطانهم، ولكن في الحدود التي منحها لهم نور الدين محمود، حيث أثبتوا بجدارة أنهم ليسوا من أهل الثقة فقط وإنما من أهل الكفاءة والخبرة أيضًا.
- اجتمعت عدة عوامل كانت سببًا لنكب أولاد الداية وسجنهم وإقصائهم من المشهد السياسي كان أبرزها عامل الخيانة السياسية والذي أدى إلى التعجيل بنهايتهم، فقد انقلب عليهم سعد الدين كمشتكين وشاذبخت الخادم وكانا من الأمراء المقربين لهم وانضموا إلى صفوف أمراء دمشق ودبروا للتخلص منهم.
- كان لنكب أولاد الداية وإقصائهم عن مناصبهم والحجر على صلاحياتهم مردودًا سلبيًا على الأوضاع ليس في حلب فقط وإنما في بلاد الشام عامة،

حيث اتخذ صلاح الدين منه زريعة وحجة لغزو الشام معلنًا أن تحركه باتجاه الشام إنما لإطلاق سراح أولاد الداية وإنقاذ الملك الصالح من قبضة الأمراء الطامعين في السلطة وتدبير أموره، فدخل دمشق واستولى عليها بدون قتال بعد أن مال إليه أمراءها الذين خشوا أن ينالوا نفس مصير أولاد الداية، فظنوا أن الملك الصالح سيفعل بهم مثل ما فعل بأولاد الداية بعدما سيطر عليها كبار الأمراء، فرأوا أن الدائرة ستدور عليهم فوجدوا في صلاح الدين طوق النجاة لهم من العزل والإقصاء المحتمل.

- أوضحت الدراسة أن صلاح الدين خاض عديد من المعارك منذ سنة ٥٧٠هـ/١١٧٤م مع القوات النورية في سبيل إطلاق سراح أولاد الداية وتدبير أمور الملك الصالح، حتى تم عقد الصلح سنة ٥٧٢هـ/ ١١٧٦م مع الملك الصالح وكبار الأمراء في حلب كان من شروطه إطلاق سراح أولاد الداية باعتبارهم عماد الدولة وأعضادها، فدخلوا في خدمة صلاح الدين منذ تلك اللحظة اعترافاً له بالفضل والجميل، فعادوا مرة أخرى إلى المشهد السياسي بفضل صلاح الدين وإن لم يكن بنفس القوة السابقة، حيث قد سبق مصادرة أموالهم وضياعهم وإقطاعاتهم من قبل الملك الصالح، ولم يتبق لهم سوى قلعتي جعبر وشيزر، فأبقاهم صلاح الدين عليهما، بل زاد عليهم أبا قبس التي ضمها لإقطاع سابق الدين عثمان صاحب شيزر.

-كما برهنت الدراسة على أن أولاد الداية كانوا على دراية تامة بأن وجود نور الدين محمود في سدة الحكم يعني تسيدهم للمشهد السياسي، فكانوا طوال فترة حكمه ينعمون بالمناصب القيادية والمهام العليا، وعندما توفي نور الدين استدركوا مدى الخطر المهدد لكيانهم ومستقبلهم السياسي، لذلك حرصوا على أن تكون لهم الوصاية على الملك الصالح بن نور الدين محمود حتى يكون لهم الحكم الفعلي بوصفهم الأوصياء عليه، ولكن لما استشعروا منافسة أمراء دمشق لهم، والذين سعوا لسحب البساط من تحت أرجلهم اضطربت أمورهم،

وعملوا على الحفاظ على مكتسباتهم السياسية بالقوة وبأي وسيلة ممكنة مهما كلف الأمر، وبذلك دخلوا في سلسلة من الصراعات مع أقطاب السلطة في حلب وفي دمشق على حد سواء، وكان هدفهم الظاهر من الصراع هو الحفاظ على ملك نور الدين وحماية ولده من تغلب أمراء دمشق عليه إلا أن الحقيقة كانت سعيهم للحفاظ على وضعهم ومكانتهم السياسية التي توارثوها منذ عهد نور الدين محمود، فلم يقبلوا أن تنتزع منهم لصالح غيرهم.

- تأكد من خلال الدراسة أن أولاد الداية نجحوا إلى حد كبير في رسم سياسات الدولة النورية وإدارة أزمتها، بل في أحيان كثيرة أداروا بافتعال الأزمات وذلك بعد وفاة نور الدين محمود، وبرغم ذلك فإن كانت هناك بعض السلبيات إلا أن الإيجابيات كانت هي المتصدرة، وظهر بشكل جلي دورهم السياسي والإداري والديني في تغيير ورسم الخريطة الحدودية والمذهبية ولا سيما خلال فترة حكم نور الدين محمود.

الملاحق والخرائط

ملحق (١) بأسماء الأمراء الزنكيين في بلاد الشام:

١	**عماد الدين زنكي بن آق سنقر**	٥٢١- ٥٤١هـ/ ١١٢٧-١١٤٦م
٢	**الملك العادل نور الدين محمود**	٥٤١- ٥٦٩هـ/ ١١٤٦-١١٧٤م
٣	**الملك الصالح إسماعيل بن نور الدين محمود**	٥٦٩- ٥٧٧هـ/ ١١٧٤-١١٨١ م

ملحق (٢) بأسماء أولاد الداية وأهم المناصب التي شغلوها: (مرتب حسب تاريخ الوفاة)

م	الاسم	أهم المناصب والمهام	تاريخ الوفاة
١	**بهاء الدين عمر**	لم يكن له شأن يذكر	٥٦٤هـ/١١٦٨م
٢	**مجد الدين أبو بكر**	نائب نور الدين على حلب وأعمالها – صاحب إقطاع حارم وجعبر وشيزر– الأمير الاسفهسلار (مقدم العساكر).	٥٦٥هـ/١١٦٩م،
٣	**شمس الدين علي**	نائب لأخيه مجد الدين على شيزر – والي حلب لنور الدين محمود بعد وفاة مجد الدين – صاحب إقطاع حارم وجعبر.	٥٧٣هـ/١١٧٧م
٤	**وبدر الدين حسن**	نائب لأخيه مجد الدين على حارم – متولي الشحنكية بمدينة حلب في عهد نور الدين محمود وابنه الملك الصالح.	توفي بعد سنة ٥٧٩هـ/ ١١٨٣م
٥	**سابق الدين عثمان**	نائب لأخيه مجد الدين على قلعة جعبر وتل باشر – مقدم العساكر بحلب في عهد نور الدين محمود وابنه الملك الصالح – صاحب شيزر وأبو قبيس وجبلة في عهد صلاح الدين الأيوبي.	٥٩٢هـ/ ١١٩٥م

راجع: ابن الأثير، **الكامل**، ج١٠، ص ٤٩؛ أبو شامة، **الروضتين**، ج٢، ص٣٢٨، ج٤، ص ٢٠؛ ابن واصل، **مفرج الكروب**، ج٢، ص ٢٥٩، ج٣، ص ٤؛ ابن العديم، **زبدة الحلب**، ص ٣٦٠؛ الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج٩، ص ٢١٥.

خريطة (١)

شوقي أبو خليل، **أطلس التاريخ العربي الإسلامي**. دمشق– سوريا: دار الفكر، ٢٠٠٥، ص ٨٦

خريطة (٢)

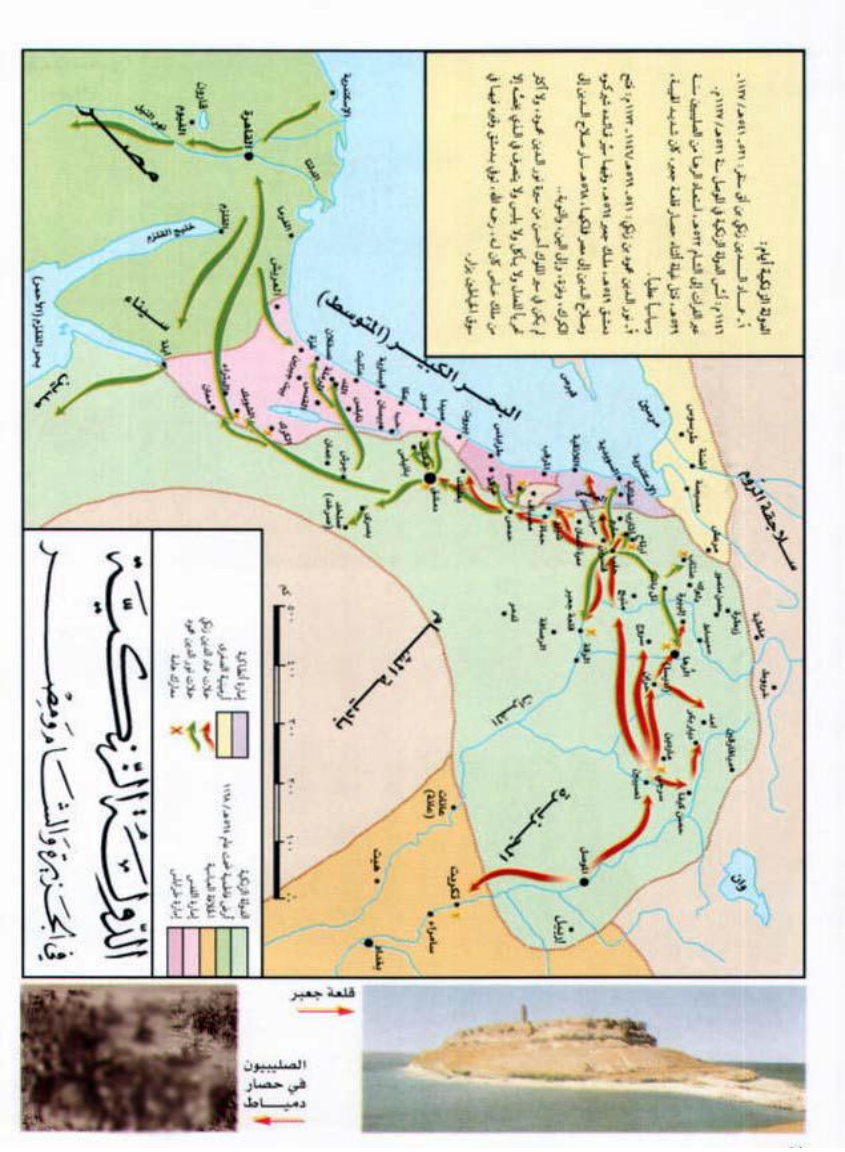

شوقي أبو خليل، أطلس **التاريخ العربي الإسلامي**، ص ٨٨

خريطة (٣)

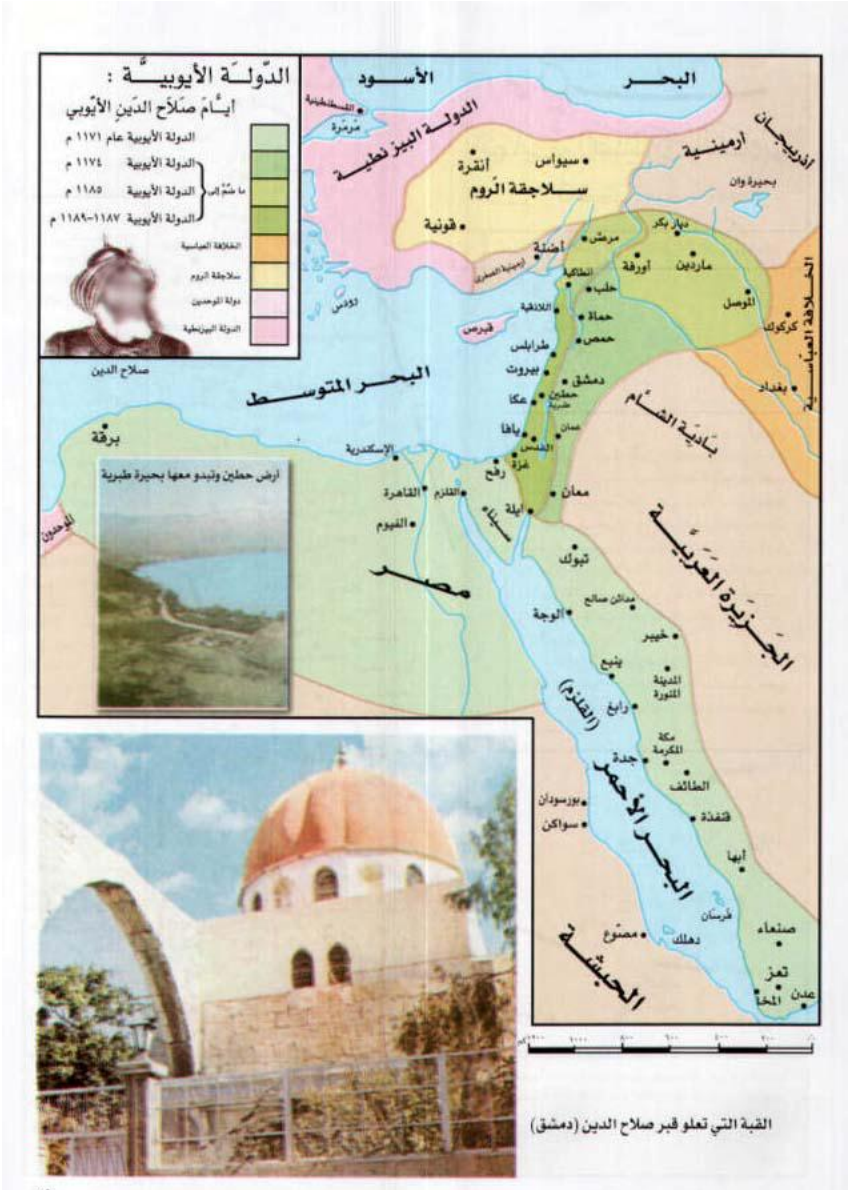

شوقي أبو خليل، **أطلس التاريخ العربي الإسلامي**، ص ٨٨

قائمة المصادر والمراجع

أولًا: المصادر العربية

١- ابن الأثير، أبو الحسن عز الدين علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري (ت: ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م). **التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل**. تحقيق: عبد القادر أحمد طليمات. القاهرة: دار الكتب الحديثة، د.ت.

٢- ـــــ. **الكامل في التاريخ**. تحقيق: عمر عبد السلام تدمري. بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٩٧م.

٣- البنداري، أبو إبراهيم الفتح بن علي بن محمد الأصفهاني (ت ٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م). **سنا البرق الشامي**، تحقيق فتحية النبراوي. مصر: مكتبة الخانجي، ١٩٧٩م.

٤- بهاء الدين ابن شداد، أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم بن عتبة الأسدي الموصلي (ت: ٦٣٢هـ/١٢٣٤م). **النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية (سيرة صلاح الدين الأيوبي)**، تحقيق: الدكتور جمال الدين الشيال، ط٢. القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٩٤ م.

٥- **تاريخ الرهاوي المجهول١٢٣٤م**. عربه عن السريانية ووضع حواشيه: الأب ألبير أبونا. بغداد: مطبعة شفيق، ١٩٨٦م.

٦- ابن تغري بردي، **جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي (ت: ٨٧٤هـ/١٤٦٩م). النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**. مصر: دار الكتب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، د.ت.

٧- التقي الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد الحسني المكي (ت: ٨٣٢ هـ/ ١٤٢٨م). **العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين**، تحقيق: محمد عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨ م.

٨- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت: ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م). **المنتظم في تاريخ الأمم والملوك**، تحقيق: محمد

عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٢ م)

٩- الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن الفارابي (ت: ٣٩٣هـ/ ١٠٠٢م). **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط٤. بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٧م.

١٠-أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد بن العباس (ت: نحو ٤٠٠هـ/ ١٠٠٩م). **البصائر والذخائر**، المحقق: وداد القاضي. بيروت: دار صادر، ١٩٨٨ م.

١١-ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر البرمكي الإربلي (ت: ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م). وفيات **الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق: إحسان عباس. بيروت: دار صادر،١٩٠٠م.

١٢-الخوارزمي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف، الكاتب البلخي (ت: ٣٨٧هـ/٩٩٧م). **مفاتيح العلوم**، المحقق: إبراهيم الإبياري، ط٢. د.م: دار الكتاب العربي، د.ت.

١٣-الدواداري، أبو بكر بن عبد الله بن أيبك، (مولده ووفاته غير معروف). **كنز الدرر وجامع الغرر**، تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور. القاهرة: عيسى البابي الحلبي، ١٩٧٢ م.

١٤-أبو ذر سبط ابن العجمي، موفق الدين أحمد بن إبراهيم بن محمد بن خليل (ت: ٨٨٤هـ/ ١٤٧٩م). **كنوز الذهب في تاريخ حلب**. حلب: دار القلم، ١٩٩٦م.

١٥-الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت: ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م). **سير أعلام النبلاء**، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، ط٣. د.م: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥م.

١٦-ـ . . . . . **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، ط٢. بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٩٣م.

١٧-الزَّبِيدِيّ، أبو بكر بن علي بن محمد الحدادي العبادي اليمني الحنفي (ت: ٨٠٠هـ/١٢٩٧م). **لجوهرة النيرة**. د.م: المطبعة الخيرية، ١٩٠٤م.

١٨- الزبيدي، محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق، (ت:١٢٠٥هـ/١٧٩٠م). **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق: عبد الفتاح الحلو، راجعة أحمد مختار عمر وخالد عبد الكريم جمعة. الكويت: شركة مطبعة مقهوي، ١٩٩٧م.

١٩-سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قِزأوغلي بن عبد الله (ت: ٦٥٤ هـ/ ١٢٥٦ م). **مرآة الزمان في تواريخ الأعيان**، ج١، ج٢، تحقيق وتعليق: محمد بركات وكامل الخراط وعمار ريحاوي، و ج٣، حقق هذا الجزء وعلق عليه: محمد بركات عمار ريحاوي، ج ٢١، تحقيق وتعليق: إبراهيم الزيبق. دمشق: دار الرسالة العالمية، ٢٠١٣ م.

٢٠- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت: ٩١١هـ/ ١٥٠٥م). **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم. مصر: دار إحياء الكتب العربية، ١٩٦٧ م.

٢١-**السهيلي**، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد (ت: ٥٨١هـ/ ١١٨٥م)، **روض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام**. المحقق: عمر عبد السلام السلامي. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٠م.

٢٢-أبو شامة، أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي (ت: ٦٦٥ هـ/١٢٦٦م). **الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية**، تحقيق: إبراهيم الزيبق. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٧م.

٢٣–ابن الشحنة الصغير، أبو الفضل محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمود بن الشهاب غازي بن أيوب بن حسام الدين محمود (ت: ٨٩٠هـ/١٤٨٥م). **الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب**، تقديم: عبد الله محمد الدرويش. سورية– دار الكتاب العربي، دمشق – دار التراث، ١٩٨٤م.

٢٤–الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (ت: ٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م). **صحيح التصحيف وتحرير التحريف**، حققه وعلق عليه وصنع فهارسه: السيد الشرقاوي، راجعه: الدكتور رمضان عبد التواب. القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٨٧ م.

٢٥–. . . . . الوافي بالوفيات، المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى. بيروت: دار إحياء التراث، ٢٠٠٠م.

٢٦–الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي (ت: ٣١٠هـ/ ٩٢٢م)، **تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك**، ط٢. بيروت: دار التراث، ١٩٦٧م.

٢٧–ابن عبد الحق، صفيّ الدين عبد المؤمن ابن شمائل القطيعي البغدادي الحنبلي (ت: ٧٣٩هـ/ ١٣٣٨م). **مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**. بيروت: دار الجيل، ١٩٩١م.

٢٨–ابن العديم، كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي (ت: ٦٦٠هـ/١٢٦٢م). **زبدة الحلب في تاريخ حلب**، وضع حواشيه: خليل المنصور. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٦م.

٢٩–. . . . . **بغية الطلب في تاريخ حلب**، تحقيق: سهيل زكار (بيروت: دار الفكر، د.ت).

٣٠-عز الدين بن شداد، محمد بن علي بن إبراهيم (ت: ٦٨٤هـ/١٢٨٥م). **الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة**، المحقق: يحي زكريا عبارة. دمشق- سوريا: وزارة الثقافة السورية، ١٩٩١م.

٣١-ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت: ٥٧١هـ/ ١١٧٥م)، **تاريخ دمشق**، المحقق: عمرو بن غرامة العمروي . بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٨م.

٣٢-**عماد الدين الكاتب الأصبهاني، أبو عبد الله محمد بن محمد صفي الدين بن نفيس الدين حامد بن ألله** (ت:٥٩٧هـ/ ١٢٠١م). **ديوان عماد الدين الأصفهاني**. المصدر: الشاملة الذهبية.

٣٣-ـ . . . . . **البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان**، المحقق: عمر عبد السلام تدمري. بيروت – لبنان: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ٢٠٠٢ م.

٣٤-ابن العمراني، محمد بن علي بن محمد (ت: ٥٨٠هـ/١١٨٤م). **الإنباء في تاريخ الخلفاء**، المحقق: قاسم السامرائي. القاهرة: دار الآفاق العربية، ٢٠٠١ م.

٣٥-ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم (ت: ٨٠٧هـ/١٤٠٥م). **تاريخ ابن الفرات**، تحقيق: حسن محمد الشماع. البصرة- العراق: د. ن، ١٩٦٩م.

٣٦-أبو الفداء، الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد ابن عمر بن شاهنشاه بن أيوب (ت: ٧٣٢هـ/١٣٣١م). **المختصر في أخبار البشر**. مصر: المطبعة الحسينية المصرية، د.ت.

٣٧-ابن فضل الله العمري، شهاب الدين أحمد بن يحيى القرشي العدوي (ت: ٧٤٩هـ/ ١٣٤٩ م). **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**. أبو ظبي: المجمع الثقافي، ٢٠٠٢م.

٣٨-ابن الفوطي، كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد الشيباني (ت: ٧٢٣ هـ/١٣٢٣م). **مجمع الآداب في معجم الألقاب**، المحقق: محمد الكاظم. إيران: مؤسسة الطباعة والنشر – وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، ١٩٩٥م.

٣٩-الفيومي الحموي، أبو العباس أحمد بن محمد بن علي (ت: نحو ٧٧٠هـ/١٣٦٨م). **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، بيروت: المكتبة العلمية، د.ت.

٤٠-ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت: ٢٧٦هـ/٨٨٩م). **المعارف**. تحقيق: ثروت عكاشة، ط٢. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢م.

٤١-القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف بن إبراهيم الشيباني (ت: ٦٤٦ هـ/ ١٢٤٨م). **إخبار العلماء بأخبار الحكماء**، المحقق: إبراهيم شمس الدين. بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٥ م.

٤٢-ابن القلانسي، أبو يعلى حمزة بن أسد بن علي بن محمد التميمي (ت: ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م). **ذيل تاريخ دمشق**، المحقق: سهيل زكار. دمشق: دار حسان للطباعة والنشر، ١٩٨٣ م.

٤٣-القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري (ت:٨٢١هـ/ ١٤١٨م). **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**. بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت.

٤٤-ابن القيسراني، أبو عبد الله شرف الدين حمد بن نصر بن صغير بن داغر المخزومي الخالدي(ت:٥٤٨هـ/١١٥٣م)، **ديوان ابن القيسراني**، المصدر: الشاملة الذهبية.

٤٥-ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ/١٣٧٢م). **البداية والنهاية**، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي. الجيزة –مصر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان،١٩٩٧ م.

٤٦-المقدسي، المطهر بن طاهر (ت: نحو ٣٥٥هـ/ ٩٦٥م)، **البدء والتاريخ** (مصر – بورسعيد: مكتبة الثقافة الدينية، د.ت)

٤٧- المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي (ت: ٨٤٥هـ/١٤٤١). **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٥٦م.

٤٨-. . . . . **اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء**، حققه: محمد حلمي محمد أحمد. القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، ١٩٩٦م.

٤٩-المنصور ابن المظفر، أبو المعالي ناصر الدين محمد بن عمر المظفر بن شاهنشاه الأيوبي (ت: ٦١٧هـ/ ١٢٢٠م). **مضمار الحقائق وسر الخلائق**، المحقق: الدكتور حسن حبشي. القاهرة: عالم الكتب، د.ت.

٥٠-ابن نظيف الحموي، **أبو** الفضائل محمد بن علي (ت:٦٣١هـ/١٢٣٤م). **التاريخ المنصوري = تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان**، المحقق: دكتور أبو العيد دودو، مراجعة: عدنان درويش. دمشق: مطبعة الحجاز، ١٩٨١م.

٥١-النعيمي، عبد القادر بن محمد الدمشقي (ت:٩٢٧هـ/ ١٥٢٠م). **الدارس في تاريخ المدارس**، المحقق: إبراهيم شمس الدين. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٠م.

٥٢-ابن هشام، أبو محمد جمال الدين عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، (ت: ٢١٣هـ/٨٢٨م)، **السيرة النبوية**، المحقق: طه عبد الرؤوف سعد (د.م: شركة الطباعة الفنية المتحدة، د.ت)

٥٣-ابن واصل، جمال الدين محمَّد بن سالم بن نصر الله بن سالم المازني التميمي الحموي (ت: ٦٩٧هـ/١٢٩٧م). **مفرج الكروب في أخبار بني**

أيوب، تحقيق: جمال الدين الشيال. القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية – المطبعة الأميرية، ١٩٥٧ م.

٥٤–ابن الوردي، أبو حفص عمر بن مظفر بن عمر بن محمد ابن أبي الفوارس (ت: ٧٤٩هـ/١٣٤٩ م). **تاريخ ابن الوردي**. لبنان – بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٦م.

٥٥–ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله الرومي (ت: ٦٢٦هـ/١٢٢٨م). **معجم البلدان**، ط٢. بيروت: دار صادر،١٩٩٥م.

٥٦–..... **معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**، المحقق: إحسان عباس (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣ م).

ثانيًا: المراجع العربية:

٥٧–أبو عبد الرحمن عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح بن حمد بن محمد بن حمد البسام، **تيسير العلام شرح عمدة الأحكام**، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه وصنع فهارسه: محمد صبحي بن حسن حلاق، ط١٠(الأمارات– مكتبة الصحابة، القاهرة– مكتبة التابعين، ٢٠٠٦م).

٥٨–أحمد رضا. **معجم متن اللغة (موسوعة لغوية حديثة)**. بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٩٥٨م.

٥٩– أحمد مختار عبد الحميد عمر. **معجم اللغة العربية المعاصرة**. القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠٨م.

٦٠–أحمد مختار عمر بمساعدة فريق عمل. **معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي**. القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠٨ م.

٦١–تازي عائشة." **الجهود العلمية لنور الدين محمود في مقاومة الوجود الشيعي ببلاد الشام**". عصور الجديدة– المجلد ٧– العدد، (٢٠١٧–٢٠١٨م).

٦٢-جواد علي، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**. ط٤. د.م، دار الساقي، ٢٠٠١.

٦٣-سعدي أبو حبيب. **القاموس الفقهي لغة واصطلاحا**، ط٢. دمشق- سورية: دار الفكر، ١٩٨٨ م.

٦٤-سعيد عبد الفتاح عاشور. **الحركة الصليبية**، ط ٢. القاهرة: مكتبة الأنجلو الأمريكية، ١٩٧١م.

٦٥-شكيب راشد ال فتاح. " **صورة نور الدين محمود في كتاب تاريخ الرهاوي المجهول**". مجلة التربية والعلم، مج١٧، ع ٤ (٢٠٢٠م).

٦٦-شوقي أبو خليل، **أطلس التاريخ العربي الإسلامي**. دمشق- سوريا: دار الفكر، ٢٠٠٥.

٦٧-شيرين شلبي العشماوي. **كتابات ابن أبي طي الحلبي في المصادر الإسلامية**: دراسة تحليلية. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ٢٠١٠م.

٦٨-كامل بن حسين بن محمد بن مصطفى البالي الحلبي الغزي. **نهر الذهب في تاريخ حلب**، ط٢. حلب: دار القلم، ١٩٩٨م.

٦٩- كرد علي. **خطط الشام**، ط٣. دمشق: مكتبة النوري، ١٩٨٣ م.

٧٠-محمد أحمد دهمان. **معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي**. دمشق – سورية: دار الفكر، ١٩٩٠م.

٧١-محمد راغب بن محمود بن هاشم الطباخ الحلبي. **إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء**، المحقق: محمد كمال. حلب: دار القلم العربي، د.ت.

٧٢-**المعجم الوسيط. مجمع اللغة العربية**. القاهرة: دار الدعوة، د.ت.

٧٣-مهند عبد الرضا حمدان عبد الله الكنزاوي، عبد الحسن حنون جبرة الله، سلام على مزعل الجابري. "**اسهامات أسرة بني الخشاب في الحياة السياسية في مدينة حلب ما بين القرن الرابع الهجري-العاشر الميلادي القرن السابع الهجري-الثالث عشر الميلادي**". مجلة الآداب، جامعة بغداد- كلية الآداب، المجلد ٢٠١١، العدد٩٨ (٢٠١١م).

ثالثًا: المراجع الأجنبية:

74- Chamberlain, Michael**.** "***The Crusader Era and the Ayyubid Dynasty*****.** " In The Cambridge History of Egypt: Islamic History (640- 1517). Edited by Carl F. Petry. Vol.1, Cambridge: Cambridge University Press, 2008.

75- Lane-Poole, Stanley. ***A History of Egypt in the Middle Ages***. Vol.6, New York: Charles Scribner's son, 1901.

76- Nafziger, George F. and Walton, Mark W. ***Islam at War*****.** London: Praeger, 2003.

77- Saunder, J. J**.** ***A History of Medieval Islam***. London: Routledge, 2002.